مواجهة
حرب الأفكار

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

٢٢٧

الوعـــي

العدد ٢٢٧ ـ السنة العشرون ـ ذو الحجة ١٤٢٦هـ ـ كانون الثاني ٢٠٠٦م

حق عودة اللاجئين
حقيقة أم مؤامرة؟!

خصائص الشريعة الإسلامية (١)

في مقابل مقررات «قمة مكة الإسلامية»:

هذا هو مشروعنا الإسلامي الصحيح للنهضة

الحملة الرأسمالية على المرأة المسلمة (٢)

المرأة في العصر الحديث

الإسلام والغرب وجهاً لوجه

- إفراج الوزير (قصيدة)

AL-WAIE

الوعي

السنة العشرون – ٢٢٧

جامعية – فكرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ألمانيا

N. Abdallah
Postfach: 301513
D – 10749 Berlin
Germany

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	١ يورو
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	١ يورو
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	١ يورو
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٤٠ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (٢٢٧)

■ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ٣
■ كلمة «الوعي»:
في مقابل مقررات «قمة مكة الإسلامية»:
هذا هو مشروعنا الإسلامي الصحيح للنهضة ٤
■ حق عودة اللاجئين حقيقة أم مؤامرة؟! ٧
■ مع القرآن الكريم: خصائص الشريعة الإسلامية (١):
مظاهر الحكم الإسلامي ١٦
■ أخبار المسلمين في العالم ١٧
■ مواجهة حرب الأفكار ٢١
■ الحملة الرأسمالية على المرأة المسلمة (٢):
المرأة في العصر الحديث ٢٧
■ الإسلام والغرب وجهاً لوجه ٣١
■ إفراج الوزير (قصيدة) ٣٣
■ كلمة أخيرة: إنهم يخافون من القلم والكاميرا ٣٥

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في ألمانيا.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
D – 10749 Berlin
Germany

اليمن
جعبل أحمد عبد الله
P.O Box: 11056
Sanaa - Yemen

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

England
Al-Waie
Suite 298
56 Gloucester Rd
London SW7 4UB

كندا : Canada
AL - WAIE
Eglinton Ave. East ٢٣٧٦
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

عنوان «الوعي» على الإنترنت
www.al-waie.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

ينعى

حزب التحرير/ ولاية الأردن

إلى الأمّة الإسلامية

أحد أعضاء الحزب المخلصين الأوفياء

الحاج عبد الحفيظ أحمد الشعراوي

«أبو محمد»

الذي أمضى حياته حاملاً الدعوة لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة دون كلل أو ملل، في شبابه وشيخوخته.

فالله نسأل أن يتغمده برحمته ويسكنه الفردوس الأعلى، وأن يلهم أهله وإخوانه الصبر الجميل

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

في مقابل مقررات «قمة مكة الإسلامية»:

كلمة الوعي

هذا هو مشروعنا الإسلامي الصحيح للنهضة

انعقد في مكة المكرمة في (٧-١٢/٨) مؤتمر «قمة مكة الإسلامية» الاستثنائية، وسط حضور كبير لملوك ورؤساء وأمراء الدول الـ ٥٧ التي يعيش فيها المسلمون، وذلك بدعوة من العاهل السعودي. أما سبب عقده، فقد أعلن أنه لمواجهة التحديات الجسام التي تحيط بالأمة الإسلامية، وما تعيشه من حالة تفكك وتشرذم، ودفع الحملات الساعية لتشويه حقيقة الإسلام، وإلصاق تهمة الإرهاب بثقافته وبمجتمعاته، ومعالجة المعوقات التي تحول دون تحقيق طموحات الأمة، وترسيخ مبادئ التسامح، وتعميق ثقافة الحوار بين الأمة وسائر الحضارات... وقد وضعوا برنامج عمل لتحقيق هذه العناوين يدور حول عشرة مواضيع سمّوها: «برنامج العمل العشري». وقد أصدروا في نهاية المؤتمر بلاغاً سموه: «بلاغ مكة» دعوا فيه إلى إدانة التطرف ومعالجة جذوره باستحداث إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية. ودعوا إلى الوسطية، وإلى اعتماد خطاب إسلامي معتدل ومنفتح، وتطوير مناهج التعليم الإسلامية. ونشر ثقافة الحوار. ودعوا إلى الاهتمام بالمرأة، والطفل، والشباب، ومحو الأمية، ومحاربة البطالة بإقامة مشاريع تؤمن فرص العمل لملايين الشباب.

وطرحوا إصلاح «منظمة المؤتمر الإسلامي» وإعطاءها اسماً جديداً، وإنشاء مجمع الفقه الإسلامي وجعله تابعاً لها، واعتباره مرجعية فقهية عليا للأمة الإسلامية، وإشراك المرأة فيه، وضمان التنسيق بين هيئات الإفتاء في العالم الإسلامي من خلاله، وإقامة حوار بين الحضارات، وتبادل التنسيق الثقافي بين بلاد المسلمين.

لا شك أن هذا المؤتمر هو مؤتمر آخر من المؤتمرات الأميركية، ولكن بعباءة إسلامية هذه المرة. وقد جاء استجابة للمبادرة الأميركية في الإصلاح المعروفة بـ«مشروع الشرق الأوسط الكبير». ولا شك أن الإصلاح الأميركي للمنطقة يعني إعادة صياغتها من جديد صياغة أميركية. على مختلف الأصعدة: سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً. ولا شك أن الإصلاح الأميركي للمنطقة يهدف إلى إفساد المسلمين وإبعادهم عن دينهم... ولكن عن طريق التحايل وادعاء الغيرة على الإسلام وصالح المسلمين، فكل ما طرح في المؤتمر من عناوين ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب. فهم بدعوتهم إلى الوسطية والحوار بين الحضارات يهدفون إلى طمس العقيدة الإسلامية القائمة على توحيد العبودية لله، ويهدفون إلى عدم الدعوة والعمل على إظهار الدين ونشره والجهاد في سبيله، ويهدفون إلى الالتقاء مع الأديان والحضارات الأخرى على قواسم مشتركة واعتبارها ديناً عالمياً جديداً. وهم بدعوتهم اعتماد خطاب إسلامي معتدل ومنفتح، وتطوير مناهج التعليم الإسلامية إلى قبول الآخر مهما كان اعتقاده، وإلى قبول (إسرائيل)، وإلى قبول المفاهيم الغربية الكافرة. وهم بدعوتهم إلى تمكين المرأة وإعطائها دوراً كاملاً في الحياة العامة يريدون أن يصلوا إلى قلب الحصن، الأسرة المسلمة المتماسكة، لتهديمه. وهم بدعوتهم

إلى محاربة الإرهاب إنما يعملون على محاربة الإسلام والمسلمين العاملين المخلصين، وأكبر شاهد على ذلك هو تنسيقهم الكامل مع أميركا في هذه المواضيع، بل قل المسارعة في خدمتها في هذه المعركة ضد الإسلام. وهم بدعوتهم إلى تطوير «منظمة المؤتمر الإسلامي» يهدفون إلى أن تقوم بدور نشط وفعّال في قيادة المسلمين فكرياً، وإبعادهم عن التأثر بالطروحات التغييرية الجذرية الجهادية التي ترفض الواقع السيئ ومن يمثله وتريد التحاكم والحكم الإسلامي فحسب، ويهدفون إلى تطويع المسلمين لما يتخذه الحكام من قرارات خيانية، وهم من أجل ذلك سيعمدون إلى توظيف بعض العلماء وإشهارهم على مستوى الأمة ليستقطبوا التأثير على المسلمين في مختلف القضايا، وخاصة المصيرية منها، ولتبرر فتاواهم أعمال وخيانات الحكام المأجورين من مثل الاعتراف بيهود، وجواز إعانة أميركا وغيرها في حربها على الإرهاب، وفي مساعدتها على احتلال أراضي المسلمين، وجواز الخدمة في الجيوش الكافرة في حربها على المسلمين...

إن هذا المؤتمر يعتبر أكبر إدانة للحكام أنفسهم. فكل ما طرحوه من محو الأمية، وتعليم المرأة، والقضاء على البطالة، وضرورة تبني المشاريع الاقتصادية التي توفر فرص العمل لملايين العاطلين... ليدل على أن ذلك كله كان من صنع أيديهم، فهم الذين أفقروا المسلمين، وظلموهم، وحرموهم من أبسط حقوقهم... لقد فرّط الحكام وأدى تفريطهم إلى هذا الواقع المأساوي، وإلى حالة التشرذم والتفكك، وإلى الأمية، والفقر، والذل والهوان...

لقد اجتمع هؤلاء الحكام الذين حق عليهم القول، والذين يفسدون ولا يصلحون، وعينهم على إرضاء أميركا ولا يهمهم رضى الله ولا عزة دينهم وأمتهم في شيء...

لقد جاء هؤلاء الحكام إلى المؤتمر بعمالاتهم وارتباطاتهم الخارجية، وخياناتهم، وبمطالب أسيادهم، جاؤوا من غير أن يتخلوا عن موقف واحد من المواقف الخيانية التي وقفوها ضد الأمة من الاعتراف بـ(إسرائيل) إلى اعتبار قوات الاحتلال الأميركية قوات متعددة الجنسيات حليفة واعتبارهم المقاومة المسلحة في العراق إرهاباً...

تصوروا أن حكام الأمر الواقع الذين هم أصل المشكلة، والتي لا حل لها بوجودهم، تصوروا كيف أنهم يطرحون أنفسهم على أنهم أصحاب مشروع يريدون الخير به لشعوبهم. والواقع عكس ذلك...

والآن إذا نظرنا إلى هذا المؤتمر ومقرراته فهل يمكن أن يعالج ما سموه مشاكل مستعصية، أو أن يشكل حلاً؟... إن الحل لا يمكن أن يأتي ممن صنع المشكلة، ممن صنع الظلم والفقر والإرهاب، لا يمكن أن يأتي ممن اشتهرت أسماء سجونهم أكثر مما اشتهرت به أسماء جامعاتهم. اجتمع هؤلاء الحكام وهم متنافرو القلوب متعددو الولاءات إلا من الولاء لله سبحانه، وقدموا مشروعاً ليس للإسلام فيه نصيب، مشروعاً قائماً على الخيانة التي لم يحيدوا عنها يوماً، مشروعاً يريدون له شهود زور يبيضون به أعمالهم الخيانية عن طريق ما سموه «منظمة المؤتمر الإسلامي».

إن المسلمين فعلاً يتوقون إلى الحل الإسلامي الصحيح المنبثق عن العقيدة الإسلامية، وها نحن نقدم مشروعاً إسلامياً حقيقياً يقوم على قطعيات في الدين لا يجوز مخالفتها ولا تقبل التأويل من أحد، ولا

يجوز تقديم شيء عليها. وهذا المشروع يكفر منكره باتفاق ويعتبر ظالماً وفاسقاً من يرفضه أو يدعو لسواه وإن تعمم أو تجلبب، أو وصف بأوصاف رفيعة. وهذا المشروع، لا يستفيد منه إلا المسلمون لأنه لا يقبل الاستغلال من أعداء الله، مشروع محبب إلى نفس كل مسلم ومكروه من كل من يبغض الإسلام ولا يضمر له إلا السوء. مشروع يخرج المسلمين حقيقة ما هم فيه من ضنك، ومن شأنه أن يحل مشكلات المسلمين ومشكلات العالم أجمعين...

وهذا المشروع يقوم على أحكام معلومة من الدين بالضرورة؛ نذكر عناوينه ونعفي أنفسنا من ذكر أدلتها لاستفاضتها وشهرتها لدى المسلمين:

أولاً: العمل بما يتوجب على المسلمين، وهو أن يحكموا بالإسلام وحده، ولا يجوز لهم أن يحكموا بخلافه ولو بحكم واحد.

ثانياً: العمل بما يتوجب على المسلمين كمحكومين، وهو أن يتحاكموا إلى الإسلام وحده، ولا يجوز أن يقبلوا بالتحاكم إلى خلافه ولو بحكم واحد.

ثالثاً: العمل على أن ينصب المسلمون عليهم خليفة واحداً يمثل سلطانهم، يختارونه ليحكمهم بالإسلام وحده.

رابعاً: العمل على ضم بلاد المسلمين إلى بعضها بحيث تعود بلاداً واحدة لا تفرقها سدود ولا حدود، ولا عصبيات ولا مذهبيات.

خامساً: العمل على منع أن يكون للكفار سبيل على المسلمين.

سادساً: العمل على أن يقوم دستور الدولة الإسلامية على العقيدة الإسلامية بحيث لا يتأتى وجود ولو حكم واحد من خارجها.

سابعاً: العمل على أن تقوم أنظمة الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم على الأساس الروحي لها وهو الإيمان بالله تعالى.

ثامناً: العمل على أن توزع ثروات الأمة التي هي من أعيان الملكية العامة على كافة رعايا الدولة الإسلامية.

تاسعاً: العمل على فتح باب الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، كعمل أساسي من أعمال الدولة الإسلامية.

عاشراً: العمل على أن يحكم المسلمون الناس بالقسط والعدل وأن تؤدي الحقوق إلى جميع رعاياها.

وبالمختصر المفيد إن الذي يحقق كل ذلك هو العمل لإقامة خلافة راشدة على منهاج النبوة.

إن هذا المشروع لا ينتظر من هؤلاء الحكام، أصحاب الألقاب والأهواء، أن يقيموه، بل ينتظر من المسلمين أنفسهم أن يجتمعوا على إقامته، وإقامة الخير الذي يحمله لهم ولسواهم من غير المسلمين... ينتظر أهل القوة والمنعة والغيرة على الإسلام أن ينظموا أمرهم وينصروا دينهم، ويعملوا مع العاملين المخلصين الواعين الذين يحملون همّ الدعوة إليه ويتحملون ثقله، فيعينونهم عليه وينالون شرف نصرة هذا الدين، ويسمون بحق أنصار الله في هذا الزمان. وعلى الله قصد السبيل ❑

حق عودة اللاجئين

حقيقة أم مؤامرة؟!

أيمن أحمد رؤوف القادري

ها نحن نشهد تكالب الأمم علينا، تكالب الأكلة على قصعتها. ها نحن نزداد يقيناً أنّ الخصم الوحيد للرأسمالية الجشعة هو الإسلام، بما يحمله من مشروعٍ حضاري سياسي؛ ولذلك يبادر طواغيت الغرب إلى استباق نهضة الأمة سياسةً، بعد أن عجزوا عن لجم نهضتها عقيدةً وفكراً وشعوراً، وهم لذلك يضربون المسلمين في عقر دارهم، مستهترين بعقول الناس، منتحلين أعذاراً واهية واهنة كبيوت العنكبوت، وراكلين ما تغنّوا به دهراً، من مقولات: حقوق الإنسان، وتقرير المصير، وإرادة الشعوب، لأنها شعارات إنما اصطنعوها للمروق من الأديان، فإذا تعارضت وبقاء الإسلام، وكان التزامهم بها يعوق ضرب الإسلام، اطّرحوها. ولعل ذلك يكون عبرةً لفلول أدعياء الفكر في بلاد المسلمين، الذين يتشدّقون بمفردات الغرب، ويأكلون فتات موائده. ولعلّ أبرز ساحة للصرّاع الحديث بين الأمّة وأعدائها، المسجد الأقصى، وما حوله.

وحديثنا اليوم، يكاد ينحصر بمقولة حقّ العودة، لرصد مدى انضباط هذه المقولة بمقاييس الشرّع.

إنّ أيّ قضيّة تشغل بال المسلم، لا بدّ أن يرجع فيها إلى الشرّع الإسلاميّ، لا إلى الشرّعيّة الدّوليّة. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب]. إنّ الإسلام يرشدنا إلى طريقة واحدة في معالجة قضايانا. ليس مقبولاً أن يخرج الإنسان من المسجد فجراً، بعد اجتهاد طويل في إحياء ليلة القدر، ومغالبة "الأهواء"، ثمّ ينادي بقرارت مجمع أبي جهل في واشنطن، القائمة على أخسّ الأهواء! وليس مقبولاً أن يعود الإنسان من الحجّ «المبرور»، بعد أن بلغ الكعبة «بشقّ الأنفس»، ورجم الشّيطان هناك، ثمّ يستعين بالشّيطان نفسه لتأكيد حقّه في الأرض المغتصبة! هذه الانتقائيّة أو الازدواجيّة في التّعاطي مع الأحكام الشرّعيّة،

مرفوضة مرفوضة. قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[البقرة].

إنّ السّياسة لا بدّ أن تنبثق عن الشّرع، وليست فنّ الممكن، بمعنى الرّضا بأنصاف الحلول، أو أعشارها، وبمعنى «خذ وطالب»، وبمعنى «الغاية تبرّر الوسيلة».

إنّ المعالجات الّتي يدعو إليها الإسلام، معالجات جذريّة. ليست من قبيل معالجة الورم السّرطاني بحبّة مسكّن انتهت مدّة صلاحيّتها، فكانت مرضاً فوق مرض. ولا من قبيل إطفاء حريق لاهب بنتهدّ عميق. قال الشاعر العربيّ:

لا تقطعنْ ذنبَ الأفعى، وترسلَها
إنْ كنْتَ شهماً فأتْبِعْ رأسَها الذّنبا

إنّ جرح فلسطين النّازف، ليس وليد عام ١٩٤٨. إنّه وليد عام ١٩٢٤م عندما استطاعت بريطانيا، رأس الكفر آنذاك، بالتعاون مع خونة العرب والترك، استطاعت القضاء على الخلافة، حيث كانت الخلافة شوكة في حلق بريطانيا الحاقدة على الإسلام والمسلمين، وبالتعاون كذلك مع اليهود الذين لم ينسوا صدّ الخليفة عبد الحميد مسعى رئيسهم هرتزل اللّعين، بهدم الخلافة، بعد عقود من التّدبير المنظّم. فلما قضي على الخلافة، انحلّت العروة الأولى، فتلتها سائر العرى. أخرج الإمام أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبير وابن حبان في صحيحه بإسناد جيد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث النّاس بالتي تليها وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة». وهكذا زالت دولة الإسلام، وزالت هيبة المسلمين، واجترأ عليهم أخسّ الأمم، إخوان القردة والخنازير!

إذا نظرنا بهذا المنظار، وجدنا أنّ كلّ مشكلة لن نجد لها حلاً، مادمنا نبحث في النّتائج فحسب، غافلين عن الأسباب.

لقد علّمنا نبيّنا ﷺ أن لا نستجدي الحلول المجتزأة، ولا سيّما ما حمل في طيّاته إطالة عمر الكفر وأهله، والظّلم وزبانيته؛ ولهذا رفض ﷺ أن يستجيب لمطلب قريش في أن تعبد الله سنة دون شرك، وأن يعبد هو آلهتهم سنة. ورفض أن يترك لأهل الطّائف صنمهم اللاّت، ولو تركاً مؤقّتاً، ورفض أن يضع عنهم فريضة الصّلاة.

يُروى أن رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل، وقف مع جمع على قبر أحد السّياسيّين، فقرأ: «هنا يرقد السّياسيّ النّبيل فلان...»، فقال هازئاً: «ما كنت أعلم أنّ تقاليد بريطانيا تسمح بدفن اثنين في قبر واحد!» قال ذلك وهو يهزأ -وفق مقاييسه- من كون فلان سياسياً ونبيلاً في آن، فإما هو سياسي أو نبيل، لكنهما لا يجتمعان!

إنّ هذا ينطبق على من يديرون دفّة القرار في بلاد المسلمين، منذ أفول نجم الخلافة الإسلاميّة، فقاموس السّياسة في قصورهم، قد شُطِبت منه كلّ مفردات النّبل والكرامة والعزّة، خلافاً لقاموس السّياسة الشّرعيّة الّتي ما زالت في وجدان المسلمين.

إنّ السّياسيّين الّذين فُرضوا على الأمّة، أذاقوها نكبة إثر نكبة! إنّ العرب قد جعلت للمصيبة أسماء كثيرة يصعب إحصاؤها، حتّى قال بعضهم إنّ أسماء المصائب من المصائب، لكنّ

ساسة العرب والمسلمين، جعلونا نحفظ تلك الأسماء لكثرة ما أذاقونا من شارها، فحياتنا محاصرة بالنكبة، والنكسة، والهزيمة، والاجتياح، والعدوان، والحصار، والمجزرة، والغارة، والانتهاكات، وخرق الأجواء! نعم، هذا ما يلحقه بنا يهود، شراذم الأمم. وحرّاسٌ الحدود، حرّاسٌ يهود، يبتسمون، ويقهقهون!

لقد أصبح الحلّ السّياسيّ في قاموس الحكّام يعني دفن البندقيّة، وإعدام السّيف، وإتلاف الدّبّابة، وتفكيك الطّائرة، حتّى يصبح المسلم لقمة سائغة أمام يهود، فلول خيبر والقينقاع والنّضير وقريظة، وحينها تُسوَّغ التّنازلات والمساومات.

وإنّ من أبرز منافذ الحلول الانبطاحيّة، ملفّ حقّ العودة، وبذلك نفهم لماذا أطلقت الأمم المتّحدة على العقد الأخير من القرن الماضي اسم «عقد عودة اللاجئين»؟ ونفهم لماذا تنصّ المادة ٢٢ من الميثاق الأوروبيّ للسّلم، والتي تبنّتها منظّمة الأمن والتّعاون في أوروبا مؤخّراً في إسطنبول، على التّالي: «نؤكّد التزامنا... بتسهيل العودة الطّوعيّة للاجئين والنّازحين بكرامة وأمان. وسنتابع بدون تمييز دمج اللاجئين والنّازحين في مواطنهم». إنّ عودة اللاجئين تشكل مكوّناً أساسياً في الانتقال إلى السّلم، أي إلى تحريك عجلة المفاوضات، وإلقاء السلاح، والاعتراف بالاحتلال.

ذلك الملفّ سنقرأ السّاعة بعض عناوينه، بالقدر الكافي الّذي يبعث على الاشمئزاز من الزّعامات الّتي باعت ما تسمّيه بالقضيّة، بثمن بخس، واشترت لعنة الله والأمّة والتّاريخ.

إنّ حقّ عودة اللاجئين مثّل الهدف الأول من أهداف ما اصطلح على تسميته بالنّضال الوطنيّ الفلسطينيّ، وجرى تثبيته في ميثاق منظّمة التّحرير، وبرنامجها السّياسيّ، وفي كل برامج أطراف حركة التّحرر الوطنيّ الفلسطينيّة بمختلف تيّاراتها وانتماءاتها السّياسيّة

لكن تراجعت شيئاً فشيئاً، لغة الخطاب من تحرير فلسطين، كلّ فلسطين، إلى انسحاب قوّات الاحتلال نحو حدود الرّابع من حزيران، إلى إعادة الانتشار، وأخيراً إلى ما سمّي خارطة الطّريق، وما أضلّها من طريق!

وفي ما يخصّ الاستيطان، انحصر الحديث بتجميده، ووقف توسّعه، بدلاً من الإصرار على إزالته باعتباره عدواناً توسّعياً غير شرعيّ.

أما بالنسبة إلى حقّ العودة، فإنّ الخطاب الرّسميّ الفلسطينيّ والعربيّ، تجاوزه، ليتحدّث عن حلّ عادل لقضيّة اللاجئين، ثمّ تنازل إلى حلّ ما، يتمّ التّفاوض والتّوافق عليه. وحتّى هذا الحلّ باتت ملامحه واضحة ومحدّدة، قبل أن يجري التّفاوض عليه، في وثائق ومبادرات، بلغت حدّ إسقاط حقّ العودة نهائياً.

لقد بدأ النّظام الرّسميّ العربيّ مسلسل الخيانة بإعلان تخلّيه عن استخدام القوّة في الصّراع مع (إسرائيل)، بعد حروب خاسرة، دبّرت خسارتها عمداً، وتلاها الرّضا بأن تكون منظّمة التّحرير هي الممثّل الشّرعيّ والوحيد للشّعب الفاسطينيّ، حتّى تستريح الأنظمة من عبء «القضيّة». ثمّ أصابها الذّعر أمام مسرحيّة الاتّهام الأميركيّ لها بممارسة الإرهاب ومساندته، فراحت تضيّق الخناق على «المقاومة الفلسطينيّة»، لتقدّم صكّ براءتها، وقامت تضغط بكلّ الوسائل لإيقاف كلّ عمل مجاهد، ولم يتورع الإعلام الرّسميّ عن وصفه بالإرهاب، والأعمال الانتحاريّة. ولقد أكّد هذا النّظام الرّسميّ العربيّ، لمن كان لا يزال مخدوعاً،

أنّه أداة طيّعة بيد الإدارة الصّليبيّة الأميركيّة، تنفّذ سياساتها وتستجيب لإرادتها ولا ننسى نفاق المجتمع الدوليّ أمام القوّة الأميركيّة، والعدوانيّة (الإسرائيليّة).

كلّ ذلك وفّر ذرائع لتوقيع اتّفاقيّة أوسلو بكل إجحافاتها وتنازلاتها في الحقوق، والقبول لاحقاً بما يسمّى خارطة الطّريق، والاستمرار في هذا النّهج، رغم ما فعلته (إسرائيل) في اتفاقيات أوسلو، وما تضعه من اشتراطات على خارطة الطريق، بما في ذلك إعادة صياغتها وفق منظورها، حيث اختصرتها تقريباً في خطّة الانفصال الأحاديّ، أو الانسحاب من قطاع غزّة، وبعض المستوطنات في شمال الضّفّة. وحصلت على اعتماد وتبنٍّ لها من المجتمع الدّوليّ

وقد أدى ذلك إلى استنتاج لدى الجانب (الإسرائيلي)، والعربي الرسمي، والمجتمع الدولي، إلى أنّ حقّ العودة لا يتمتع بأولوية لدى الفلسطينيين، وأن لديهم الاستعداد للمساومة عليه، أو التنازل عنه

كل هذه التطورات، والمفاهيم المغلوطة، هيأت المناخات لأن تخرج من الصف الفلسطيني شخصيات قيادية ومؤسسات، بالتعاون مع شخصيات ومؤسسات (إسرائيلية)، وبتشجيع سياسي ومادي من أوساط ومراكز دولية، لإطلاق مبادرات أو اتفاقات أو تفاهمات، يدعي أصحابها أنها تشكل أساساً لتسوية متوازنة للصراع الفلسطيني (الإسرائيلي). وهي المبادرات التي عرفت بمسميات

١- وثيقة جنيف (بيلين - ياسر عبد ربه): والتي سميت "مسودة اتفاقية للوضع الدائم

٢- وثيقة أيلون - سري نسبية

٣- وثيقة بيلين - أبو مازن : والتي أخذت اسم "مشروع معاهدة لقضايا الحل النهائي

إن القاسم المشترك الذي تلتقي عليه هذه الوثائق الثلاث هو أنها جميعها تبرئ (إسرائيل)، أو على الأقل لا تحملها أية مسؤولية سياسية أو أخلاقية عن الجريمة التي ارتكبتها بحق الشعب الفلسطيني حينما طردته بقوة الاحتلال من أرضه عام ١٩٤٨م. وبالتالي حررت (إسرائيل) من إمكانية أي ضغط عليها أو أية مطالب منها، طالما هي لم تفعل شيئاً ضد الشعب الفلسطيني! وهي لا تعترف بحقّ عودة اللاجئين إلى أراضيهم وممتلكاتهم التي طردوا منها ، بل إنها لا تأتي على ذكر كلمة العودة، وتتحدث عن خيارات أخرى أمام اللاجئين تسميها مكان إقامة دائم!

كما تجاهلت هذه الوثائق أية إشارة لحقوق أكثر من ربع مليون عربي فلسطيني يقيمون في دولة (إسرائيل) ويحملون جنسيتها من العودة إلى قراهم وأراضيهم التي هجّرتهم (إسرائيل) منها منذ عام ١٩٤٨م، وتمنعهم من العودة إليها واستعادة ملكيتهم لها.

ولقد نظرت الوثائق الثلاث إلى قضية اللاجئين نظرة اقتصادية وحلها على هذا الأساس. واعتمدت لذلك مبدأ التعويض لإعادة تأهيل وإسكان اللاجئين. إن أي شخص أو هيئة مهما كانت صفتها التمثيلية، لا تملك التنازل عن حقوق لا تملكها ولم يفوضها أصحابها بذلك.

والتعويضات التي تحدثت عنها الوثائق هي عبارة عن ثمن أراضي اللاجئين وممتلكاتهم (وفق تقديرات تحددها لجنة أو صندوق دولي) أي أنها ستفرض على اللاجئين بالقوة بيع أراضيهم أو التنازل عنها، وهو ما يرفضه اللاجئون رفضاً

قطعياً، ويرفضون المساومة عليه. وتجاهلت هذه الوثائق حقّ اللاجئين في تعويضات عن الخسائر المادية والمعنوية التي لحقت بهم وبممتلكاتهم منذ هجروا منها عام ١٩٤٨ حتى اليوم، وعن استغلال دولة (إسرائيل) واستثمارها لهذه الأراضي والممتلكات على مدى أكثر من نصف قرن. وهذا النوع من التعويضات هو ما يطالب به اللاجئون إلى جانب عودتهم إلى أراضيهم

وحتى التعويضات التي تحدثت عنها الوثائق ، حمّلت المجتمع الدولي، والدول المانحة مسؤولية جمعها من خلال صندوق دولي يُنشأ لهذا الغرض. وبذلك أعفت (إسرائيل) من مسؤولية دفع هذه التعويضات من الأموال التي نهبتها ، وأشارت فقط إلى إمكانية إسهام (إسرائيل) في تغذية الصندوق الدولي للتعويضات ببعض الأموال.

وقد تفردت وثيقة جنيف باستخدام لغة التهديد والضغط على اللاجئين للقبول بصيغ الحلول التي عرضتها لقضيتهم، فهدّدت كل لاجئ لا يقبل بأحد الخيارات الخمسة التي حددتها له لاختيار مكان سكنه الدائم من بينها، خلال مدة أقصاها خمس سنوات ، بشطبه من سجلات اللاجئين وإنهاء وضعه من حيث هو لاجئ، وبالتالي إسقاط كل حقوقه

كما نصت الوثيقة على إنهاء عمل وإلغاء وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) خلال خمس سنوات من توقيع هذه الاتفاقية. وفي هذا ضغط واضح على اللاجئين للقبول بالحلول التي تعرضها الوثيقة، لأن وكالة غوث وتشغيل اللاجئين تقوم بدور الرعاية الغذائية والصحية والتربوية والاجتماعية للاجئين وبخاصة في المخيمات. مع أن قرار حل الوكالة لا يملكه أحد غير الجهة التي أنشأتها، وهي الأمم المتحدة، وقرار الحل مرتبط بتحقيق الهدف الذي أنشأت من أجله، كما نص على ذلك قرار إنشائها، وهو تحقيق عودة اللاجئين تطبيقاً لقرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤

إنّ من يدقق في نوعية وهوية الشخصيات الفلسطينية التي شاركت في التوصل إلى هذه الاتفاقيات، يلاحظ أنها شخصيات مسؤولة على أعلى المستويات، سواءٌ في منظمة التحرير (أعضاء لجنة تنفيذية) أو السلطة الوطنية (وزراء وأعضاء مجلس تشريعي) وليس من خارج المؤسسة الرسمية كما هي حال الطرف (الإسرائيلي) المشارك (أحزاب معارضة). ورغم المطالبات الشعبية الواسعة التي طالبت قيادة المنظمة بمحاسبة هؤلاء، ووقف تحركاتهم، إلا أن شيئاً من ذلك لم يتم.

ولم تتوقف جهود هؤلاء (الناشطين) الفلسطينيين عند حدود التوصل إلى هذه الوثائق أو الاتفاقيات، فهم ينشطون على المستويات المحلية والعربية والدولية للترويج لهذه الوثائق واستقطاب تأييد لها. فعلى الصعيد المحلي أسست مجموعة ياسر عبد ربه "ما سمي تحالف السلام الفلسطيني"، وأسست مجموعة سري نسبية "ما سمي بالحملة الشعبية للسلام والديموقراطية"، ويقومون بأنشطة إعلامية واسعة عن طريق توجيه نداءات، ونشر إعلانات مدفوعة، وإصدار صحف ونشرات، وإجراء استطلاعات موجهة حسب وجهة نظرهم. وأقاموا مراكز إعلامية لهذه الأغراض. كما ينشطون في مجال الزيارات والاتصالات مع جهات عربية ودولية، رسمية أو غير حكومية، لحشد التأييد والمساندة لتوجهاتهم. وهذا النشاط الواسع يوحي بأن هناك أموالاً طائلة

رصدت لهم من قبل هيئات وجهات خارجية غير معلنة، مما يثير شكوكاً أكثر في الهدف من هذه التحركات، والوثائق، وأصحابها، ومن يقف وراءَها

إن قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم ١٩٤، والذي يجري تأكيده سنوياً، لم ينشئ حقّ اللاجئين الفلسطينيين بالعودة، ولكنه أعاد صياغة وتأكيد مبدأ راسخ في القانون الدولي العرفي. إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ينص صراحة على أن "لكل فرد الحق في...العودة إلى بلده". فلماذا لا يعود أبناء فلسطين إليها؟ ألأنّهم مسلمون؟! وليس حماة الشرّعيّة الدّوليّة يعبؤون بإعادتهم، وهم تعاونوا على إخراجهم.

إنّ سموّ الأمّة الإسلاميّة في مطالبها، كان سمةً لها في تاريخها المديد، وبذلك دخلت ساحات العزّة ورفعت فيها راياتها. فعلينا أن نكون دوماً على مستوى هذا السموّ. لماذا نتعلّق بقشّة يابسة، والشّجرةُ ثابتة الجذور، متهدّلة الأغصان، حولنا، وفيها يقين الخلاص إنّ تعلّقنا!؟؟

فلنكفّ عن اللّهاث وراء مسمّى حقّ العودة، فلن ننال شيئاً. إنّه أمر ترفضه كلّ الحكومات (الإسرائيليّة)، كما يقول يهوشع بورات في صحيفة يديعوت أحرونوت، ٢٠٠٣/١٢/٢٩م.

إنّ من حقّ كلّ لاجئ أن يبقى في أيّ أرض إسلاميّة، فتحها أجداده الصّحابة أو التّابعون، وإلاّ فلماذا نهض الإسلام بـ" مهاجرين" و " أنصار"؟ من حقّ كلّ لاجئ، أن يقيم في أندونيسيا وموريتانيا، كما في الأردنّ ولبنان وسوريا ومصر. ومن نظر إليه بعين الرّيبة، فإنّه أعمى البصيرة.

نعم، يحقّ لكلّ من أُخرِج من داره بغير حقّ، أن يعود إليها، ولكنّ الواجب يحكم حياة الأمّة أكثر ممّا يحكمها حقّها.

إنّ كلمة "حقّ" جعلوها في صيغة تعني جواز التّنازل، فجعلوها حقاً شخصياً، لفلان أن يعود أو لا يعود!

ومسألة ما اغتصبه اليهود ليست كذلك: إنّها أرض إسلاميّة احتلّت، وليست أرضاً فلسطينيّة سلبوها من جدّي!

وعليه، فإنّ الشّعار الّذي ينبغي أن يرفع، هو واجب إعادة الأرض إلى حظيرة الإسلام، لا حقّ عودة فلان إلى تلك الأرض! وهكذا يكون تنازل فلان عن أرضه تنازلاً باطلاً؛ لأن الحق ليس لشخصه بل هو للإسلام، لله ولرسوله والمؤمنين أجمعين.

وأرى لزاماً عليّ أن أذكر أبرز مستند من الوثائق الدّوليّة، الّتي يعلّق عليها أصحاب حلم "حقّ العودة"، آمالهم. إنّه القرار ١٩٤الصّادر في الدّورة الثّالثة للجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة بتاريخ ١٩٩٨/١٢/١١م. لقد نصّت الفقرة ١١منه، «على تقرير وجوب السّماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن، للاّجئين الرّاغبين في العودة إلى ديارهم، والعيش بسلام مع جيرانهم....». إذاً، ثمن العودة: ضمان أمن (إسرائيل)، والاعتراف بحقّها في الوجود! فهل نرضى؟! إن الإقرار باغتصاب يهود لفلسطين مقابل عودة نفر من اللاجئين تأذن يهود لهم، هذا إذا أذنت، هذا الإقرار جريمة كبرى عند الله ورسوله والمؤمنين. فهل المسألة أن يعود الفلسطينيون إلى فلسطين تحت حكم دولة يهود الغاصبة لفلسطين مع الإقرار باغتصابها لفلسطين، أو أن تعود فلسطين لأهلها بعد القضاء على كيان يهود الغاصب لفلسطين؟ مالكم كيف تحكمون؟

إنّ التّلهّي بحديث حقّ العودة، على النحو المذكور، عن واجب إعادة فلسطين إلى حوزة الإسلام، نابع من أمور عديدة، لا بدّ من علاجها:

١- إنّ الأنظمة القائمة في بلاد المسلمين، قامت بمسرحيّات سخيفة وهميّة، سمّتها معارك، في وجه يهود، وكان مخطّطاً لها منذ البداية أن تكون خاسرة حتى تُحدث هالة لليهود فوق حجمهم، وحتّى تحدث الإحباط المطلوب عند أهل البلاد، وتروِّض النّفوس لأيّ حلّ رخيص.

٢- وإنّ هذه الأنظمة تواطأت مع أطراف فلسطينيّة، على إيجاد معارك دمويّة، بين الفلسطينيين والبلاد التي لجأوا إليها: الأردنّ ولبنان، حتّى يزداد شعور الفلسطينيّ بأنّه مضطهد بين إخوته في العقيدة، ويطالب بالعودة، مهما كان الثّمن!

٣- وإنّ هذه الأنظمة، ولا سيّما المسمّاة «بلاد الطّوق»، تحاصر الفلسطينيّين على أرضها، وتحكم عليهم الطّوق، وتشعرهم أنّهم ضيوف غرباء. ولك أن تتأمّل في شروط معاملات الإقامة، وفي المخيّمات «المجهّزة» للإقامة. ولك أن تتأمّل في شروط الحصول على رخص العمل، وشروط التّملّك، وشروط البناء والتّرميم! وحتى التي تعتبرهم (مواطنين)، فهم في نظرها في أدنى درجات السلم من حيث المواطنة.

وفي العلاج نرى أنّه لا بدّ من إعادة صياغة للنسيج الاجتماعيّ والسّياسيّ، في بلاد المسلمين، على أساس الإسلام، وحده. ولا بدّ من غرس المفاهيم الإيمانيّة في النّفوس، لتقوى الثّقة بالله ونصره، كما وثقت أمّ موسى، عليه السلام، بالله سبحانه وبنصره، حين أمرها أن ترمي ابنها في اليمّ الجارف فأطاعت والتزمت، وكانت النتيجة أن أنجاه الله من فرعون عدوه، بل جعل فرعون يتولى موسى ويرعاه، وفرعون هذا كان يبحث عن موسى وأمثاله لقتلهم!

وإن على المسلمين، إزاء الدعوات المشبوهة التي يراد لها أن تكون بديلة عن تحريك جيوش المسلمين للجهاد، في إطار واسع شامل مفتوح، عليهم أن يقفوا في وجه هذه الدعوات المشبوهة ولا يجعلوا لها قائمة.

وإنّ على المؤمن أن يكون كيّساً فطناً، لا يلدغ من جحر مرّتين، ولا أكثر! ينبغي أن يعي المسلم، ولا سيّما النّخبويّ القياديّ، أنّ القرارات الدّوليّة ساحات إعدام جماعيّ للقضايا العادلة، وأنّه «ما حكّ جلدك مثل ظفرك»، وأنّ دول القرار الغربيّ حاربت هذه الأمّة قروناً طويلة، ومكّنت ليهود، دون حياء، فهل يثق الحمل بالجزّار؟ هل تثق الضّحيّة بالجلاّد؟ إنّ الكفاح السّياسيّ واجب لفضح الصّفقات المشبوهة، وإنقاذ الأمّة من براثنها. لقد أدرك دهاة الغرب أنّ الإسلام، وحده، قادر على إحباط إجرامهم وإرهابهم. يقول دونالد رامسفيلد، وزير الإرهاب الأميركيّ: «إنّ أميركا تحارب الإرهابيّين في كلّ من العراق وأفغانستان، ليس فقط أولئك الّذين يريدون تحرير بلادهم، ويضربون أميركا، بل إنّهم يريدون كذلك إقامة الخلافة». وها هو هنري كسينجر ، وزير الخارجيّة الأميركيّ الأسبق، يحذّر الرّئيس المقبل لأميركا، قائلاً : «إن العدوّ الرّئيسيّ هو الشّريحة الأصوليّة النّاشطة ، في الإسلام، التي تريد في آن واحد قلب المجتمعات الإسلامية المعتدلة ، وكلّ المجتمعات الأخرى التي تعتبرها عائقاً أمام إقامة الخلافة». وهاهو بلير رئيس الوزراء البريطانيّ يقول، في المؤتمر العام لحزب

العمّال، يوم ٢٠٠٥/٧/١٦م: «إنّ ما يواجهه الغرب اليوم، ليس مجرّد حركة عبثيّة، لا تملك هدفاً، بل إنّنا نجابه حركة تسعى إلى إزالة دولة إسرائيل، وإلى إخراج الغرب من العالم الإسلاميّ، وإلى إقامة دولة إسلاميّة واحدة تحكّم الشّريعة، في العالم العربيّ، على طريق إقامة الخلافة، لكلّ الأمّة الإسلاميّة».

لقد آن أن يفهم كلّ مسلم معنى الولاء لله والحاكمية، ويدرك وجوب تحكيم شرع الله، ويدرك خطر الركون إلى الظالمين وموالاة الطواغيت، ويتجلى له الفرق الشاسع بين الإسلام والطروحات الأخرى من وطنية وقومية وعلمانية واشتراكية وديمقراطية... ويتعلم مفهوم المفاصلة وضرورة الوضوح والجذرية في الحل الإسلامي. فلا يتشدّق بمفردات الحرص على الوحدة الوطنية والحوار مع الآخر -أياً كان الآخر، أعدواً كان أو صديقاً- والتعددية -أياً كان المتعدد، أحاقد على الإسلام أو موالٍ له- ومفردات الاستفادة من سائر الحضارات وقرارات الأمم المتحدة، وحكمة المشاركة في الأنظمة الوضعية.. ويجب أن يتولد في نفس المسلم عشق الجنة والثقة بالله. وأن تصبح المفاهيم الإسلامية قوة دافعة في الناس، فتؤمن بها الجماهير وتفهمها وتحملها وتكافح في سبيل تطبيقها، وحينئذ يصبح تطبيقها أمراً حتمياً ونتيجة طبيعية.

والآن فإني أسأل: كيف عاد المهاجرون إلى مكّة، في عهد المصطفى ﷺ ؟ أسأل هذا السؤال، لأنّ كثيرين يحلو لهم أن يجعلوا اللاّجئين مهاجرين، وأبناء «بلاد الطوق» أنصاراً.

إنّ النّخوة التي تحلّى بها الأنصار، لا بدّ من الاقتداء بها، والاسترشاد بها، لكن..ما كان واقع الأنصار وموقعهم؟ لقد كانت مقاليد الأمور في أيديهم، ووهبوها إلى النبيّ ﷺ. كانوا هم أهل القوّة والمنعة، أهل النّصرة. وإذا أردتهم اليوم، بحقّ، فنقّب عنهم في صفوف الجيش، بين من ينامون وفوق أسرّتهم أطياف حمزة وعليّ والقعقاع، بين من يستيقظون على صيحات بلال وسعد وعمّار، بين من يتوقون إلى أن يذكرهم الله في من عنده، ويذكرهم التّاريخ مع صلاح الدّين وعزّ الدّين.

أخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن عن ابن عباس قوله: حدثني علي ابن أبي طالب، قال: «لما أمر الله نبيه ﷺ أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى...» [فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (بعناية الشيخ عبد العزيز بن باز، محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي)، دار المعرفة، بيروت، ٧/٢٢٠]. قد أصر ﷺ على هذه الطريقة، رغم تكرّر الصدود الذي لقيه، ورغم الاقتراحات الأخرى التي عرضت عليه.

على الكتلة الواعية، إذاً، أن تطلب النصرة من أهل القوة والمنعة، من المخلصين في صفوف جيوش المسلمين، نعم المسلمون صاروا يؤمنون بضرورة هدم الأنظمة الحالية قاطبة، فهي لم تقدّم لقضية فلسطين وغيرها إلا الأكفان وأكياس الطحين.

ولا ينبغي أن يجعل أحد من الواقع السياسيّ الدوليّ عائقاً دون السعي إلى أن تأخذ الأمة زمام المبادرة، فالنخب الواعية هي التي تأبى الخضوع

لما فرضته، وتحاول فرضه، الدوائر الاستعمارية الغربية، على الأمة الإسلامية. ومع وجود فارق، في الكم لا في النوع، بين الهيمنة الاستعمارية الغربية اليوم، والهيمنة الاستعمارية لفارس والروم بالأمس، وهما الدولتان العظيمتان يومها، إلا أن القوة الإيمانية المرتبطة بخالق الكون، لها من العظمة ما يؤهلها لتحقيق المشروع الإسلامي، بعون الله أولاً وأخيراً، اليوم كما بالأمس ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال ١٠].

لقد سأل الرسولَ الأكرمَ ﷺ، مولاه زيدٌ مستغرباً، بعد أن جاء ردّ أهل الطائف على دعوة الرسول الأكرم، رداً فظيعاً في سلبيته: كيف يعود الرسول إلى مكة بعد أن خرج منها؟ لما يعلمه زيد من شماتة قريش بالرسول، خاصة بعد وفاة أم المؤمنين خديجة، وعمه أبي طالب، فما كان جوابه ﷺ، إلا القول الواثق بوعد ربه والمطمئن إلى يقينه بربه: «إن الله جاعل لما ترى يا زيد فرجاً ومخرجاً». وهكذا كان بإذن الله ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الإسراء].

إذاً لا بد من تقرير هذه النقطة بمعزل عن أي أمر آخر: إن إعداد العدّة للنصر لا بدّ أن يراعى فيه التمسك بتعاليم المصطفى، والتماس الرضى الرباني، هذا بحد ذاته أول الفرائض. ولا يعنينا بعد ذلك بكثيرٍ، استبطاء النصر او تعجّله، فإن الله، سبحانه، وهو الحكيم الخبير، قد ضرب له موعداً لن يتخلف. وإن نصرنا إنما يكمن، هذه اللحظة، حين نستفرغ وسعنا، ونبذل غاية جهدنا، في مرضاة ربنا، ولا نشك مطلقاً في أن الله سبحانه منجز وعده. ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر].

ثم لا يضيرنا بعدها أجاء النصر بعد يوم، أو عقد من الزمن. فهذا أمره إلى المولى عزّ وجل، وإنما علينا أن نتبصر في حسن تفقهنا في ديننا، والتزامنا بأحكام ربنا، حسب استطاعتنا ووسعنا، مع سهر حثيث دؤوب للتغلب على كافة الصعاب التي قد تعترض طريقنا.

ولقد وعد الله نبيّه ﷺ بعزّة هذه الأمّة، وظهورها على أعدائها.

قال ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» [رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد].

وهذا النصر المؤزّر يقتضي عودة دولة المسلمين وارتفاع رايتهم، وهو الأمر الذي بشّر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «... ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» [رواه أحمد والبزار والطبراني وأبو داود والترمذي. وهو في فتح الباري ١٣/٢١٤].

ومن ثمرات تلك الدولة الجامعة المرتقبة، استرجاع بيت المقدس وما حوله:

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله... هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله» [رواه البخاري ومسلم].

إنه وعد الله... ولا يخلف الله وعده: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥] ❑

خصائص الشريعة الإسلامية (١)

مظاهر الحكم الإسلامي

– أنه من عند الله

قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ ﴾ [الأنعام ٥٧] وقال: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف] وقال: ﴿ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص] وقال: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى ١٠] وقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الممتحنة] وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النمل] وقال: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنبياء] وقال: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة ٤٩] وقال: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر] وقال: ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [هود] وقال: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء].

– عدم التبديل والتغيير

قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الكهف].

– الحفظ والعصمة

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر] وقال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ ﴾ [الحج ٥٢].

– البركة المتجددة أي يفيض بالخيرات الإلهية

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان] وقال تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص].

– البراءة من الهوى

قال تعالى لنبينا ﷺ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [المائدة ٤٩] وقال تعالى لسيدنا داود عليه السلام: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [ص ٢٦] وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية ١٨].

– التوسط والتوازن الشرعي وليس العقلي

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة ١٤٣] ❑

ديمقراطية التنصت

فضيحة جديدة انكشفت في إمبراطورية (الديمقراطية والحريات) إمبراطورية الشر أميركا، وقد اعترف بوش بأنه يمارس التنصت، إلا أن وزيرة خارجيته (رايس) قالت إنه من الخطير جداً أن تكشف وسائل الإعلام عن برامج سرية للحرب على الإرهاب مثل التنصت، وكانت رايس ترد على ما نشرته نيويورك تايمز من أن بوش أمر ببرنامج تنصت سري في أميركا دون إذن القضاء، مما أثار استياء الكونغرس. لكن المبررات التي أوردتها كونداليزا رايس لا تقنع أحداً؛ لأن التنصت على ما يسمى «الإرهاب» لا يلزمه التنصت على الأميركيين أنفسهم ❑

حكام أوروبا والسجون الطائرة

قال كولن باول في حديث لـ(بي. بي. سي) إن الأوروبيين كانوا على علم بما تقوم به وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لجهة نقل معتقلين يشتبه في أنهم (إرهابيون) على متن طائرات استأجرتها لهذه الغاية، وعلى الأوروبيين أن لا يصدموا لحصول أمر كهذا لأنهم يعلمون به. وهذا يؤكد بأن أدعياء الحريات وحقوق الإنسان يكذب بعضهم بعضاً ❑

الميليشيات تحكم

بعد تصريحات إياد علاوي عن أن حكام العراق الحاليين أسوأ من صدام حسين، ها هو المفكر إياد جمال الدين يشير في تصريح لصحيفة الشرق الأوسط ١٢/١٩ بأن الخروقات الانتخابية وصلت إلى حد القتل وإحراق مقرات كل من حركة الوفاق الوطني والحزب الشيوعي في الناصرية، وقال: «فوجئت بهجوم كبير على مقر إقامتي في الناصرية بقاذفات (آر بي جي) والرشاشات» (وهو رئيس القائمة الوطنية في محافظة ذي قار)، كل هذا حصل أمام أعين رجال الشرطة الذين لم يتدخلوا لحماية سياسي ومرشح للبرلمان القادم، وأضاف: «إن البلد أصبح في يد الميليشيات في ظل غياب الدولة، إنها ميليشيات الأحزاب السياسية، وميليشيات ممولة من قبل دولة جارة... وإن القوات الأميركية تمكنت من القبض على ٤ شاحنات دخلت من إيران وهي محملة بصناديق انتخابية مزورة لصالح إحدى الكيانات المناصرة للسياسية الإيرانية» ❑

أهالي الفلوجة وتسونامي

قال قائم مقام الفلوجة متحدثاً عن تدمير الفلوجة الذي حصل قبل عام: «إن الفلوجة تعرضت إلى كارثة كانت أسوأ من تسونامي في قارة آسيا، لكن الحياة بدأت تعود شيئاً فشيئاً» ويخشى سكان الفلوجة من عناصر مشاة البحرية الأميركية على ذمة بعض سكانها الذين قابلتهم الصحف الناطقة بالعربية ❑

مفاوضات سرية!

ذكرت صحيفة (الغارديان) البريطانية في ١٢/٨ أن سوريا تجري محادثات سرية حول استئناف المفاوضات مع (إسرائيل) وذلك في محاولة لتفادي عقوبات دولية عليها حول دورها المزعوم في اغتيال الحريري، وذكرت الغارديان أن دولاً عربية بينها مصر والأردن حضت الرئيس السوري على استئناف المفاوضات مع (إسرائيل) وذلك من خلال مبادرة الملك عبد الله، التي طرحت في مؤتمر القمة العربي في بيروت عام ٢٠٠٢م. وإن مبادرة الملك عبد الله أُدرجت على جدول أعمال القمة الإسلامية في مكة المكرمة في شهر كانون الأول ٢٠٠٥م ❑

حرب بُنيت على الأكاذيب

قال وولفوفيتز (أحد رجالات بوش في غزو العراق، ويشغل الآن منصب رئيس البنك الدولي): «إنه لو قُدمت أدلة قاطعة على أن نظام الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين لن يستخدم أسلحة دمار شامل إلى واشنطن ما كانت على الأرجح غزته في عام ٢٠٠٣م»، وأضاف قائلاً: «لو قدم لنا أحد دليلاً قاطعاً بأن أسلحة دمار شامل لن تستخدم، لكنا فكرنا بتقديم دعم أكبر للمعارضة العراقية في الداخل، ولما قامت الولايات المتحدة بما قامت به بتلك الطريقة» وكان وولفوفيتز نائباً لوزير الدفاع الأميركي وقت الغزو، وهو من المهندسين الرئيسيين للحرب على العراق. وعندما سئل عن خطأ

المعلومات الاستخباراتية قال: «اعتمدنا على أجهزة الاستخبارات». أما رئيسه بوش فقد قال مؤخراً: «إن الحرب على العراق بُنيت على معلومات كاذبة، وهذا تأكيد آخر على الذرائع الكاذبة التي استعملت لغزو العراق ❑

الحكام والذنوب!

بعد مشاركتهم في مؤتمر مكة، أو قمة مكة، قام حكام ٥٧ بلد إسلامي بزيارة بيت الله الحرام، فطافوا بالبيت المطهر، ثم صلّوا ركعتي الطواف، ثم تشرفوا بالدخول إلى الكعبة المشرفة، وبعد ذلك غادروا إلى جدة ثم إلى بلدانهم؛ لكي يستأنفوا التآمر على أمتهم متحالفين مع الدول الكبرى مثل أميركا، وبريطانيا، وفرنسا، وبعضهم مع إسرائيل سراً أو علناً، وكل مؤتمر إسلامي وأنتم بخير! ❑

أميركا تحاكم صدام حسين

قامت سلطات الاحتلال الأميركي بمحاكمة صدام حسين وهي تدعي أن أهل العراق هم الذين يحاكمونه، ومن غرائب مسرحية المحاكمة اختارت القاضي بحيث يكون مسلماً (كردياً) والقرية المشتكية سكانها من المسلمين (الشيعة)، والمتهمين من المسلمين (السنة). مع اعتذار المجلة عن هذا التوصيف، لكن لابد من كشف المخطط الأميركي الساعي لتأليب الطوائف والمذاهب على بعضها البعض، وتحريضها، وحفر خنادق من الحقد، وتحريك الغرائز لكي تشتعل الحرب الأهلية مما يريح الجيش الأميركي والبريطاني في احتلالهما للعراق، ويطيل أمد بقائهما في العراق ❑

العراقيون مرتهنون!

اتهم رئيس وزراء العراق السابق (إياد علاوي) الحكومة الانتقالية التي يقودها إبراهيم الجعفري بالفساد «فهي تركت الساحة للإرهابيين، وسمحت بتعاظم دور الميليشيات المسلحة والاعتقالات العشوائية». واتهم فلاح النقيب، وزير داخلية سابق وعضو في قائمة علاوي، حكومة الجعفري بمسؤوليتها عن ١١ ألف مفقود في حملة المداهمات والاعتقالات التي تقودها أجهزة الحكومة الأمنية. وقال علاوي بأن العراقيين حالياً مرتهنون من الشرق (يقصد إيران) ومحكومون من الغرب (يعني أميركا). ولكن علاوي تناسى أنه كان رئيس وزراء مرتهن أيضاً ومحكوم، وجاء على ظهر الدبابات الأميركية، وكلماته الانتخابية لا تخدع أحداً ❑

الجعفري والتطبيع

أعلن رئيس وزراء الحكومة الانتقالية التابعة للاحتلال إبراهيم الجعفري يوم ١٢/١١ أنه لا يستبعد إقامة علاقات بين العراق و(إسرائيل) إذا وافق البرلمان المقبل على ذلك، لكنه رفض أي حوار مع المقاومة إذا أعيد اختياره ليرأس الحكومة. ومن جهة أخرى أكدت المفوضية العليا للانتخابات أن «للإسرائيليين من أصل عراقي حق الاقتراع». ولا ندري لماذا التركيز على حق (الإسرائيليين) الذين يقطنون في فلسطين المحتلة في ممارسة الاقتراع؟ هل هذا يعدُّ تمهيداً لإدخال بعض الإسرائيليين في الوزارات المقبلة وفي المراكز الحساسة بوصفهم رعايا سابقين يقيمون في المهجر «فلسطين المحتلة»؟! ❑

تنفيس الاحتقان

حينما حصل حادث تفجير موكب رئيس وزراء لبنان السابق (رفيق الحريري) قبل عشرة شهور سارعت أميركا بإرسال الأخضر الإبراهيمي، وعمر موسى، وتيري رود لارسون، وسانترفيلد، وشخصيات عربية ودولية أخرى؛ للملمة شظايا الحادث ومنع التوتر من التصاعد بحيث تفلت الخيوط من يدها، ونجحت في ذلك نجاحاً منقطع النظير. أما حينما تم اغتيال النائب جبران التويني، فقد تم إرسال عمر موسى «لتنفيس الاحتقان» كما قال المعلقون السياسيون، وقد ترسل غيره دون أن ننسى الدور النشط للسفير الأميركي في توجيه النصح يَمنةً ويَسرةً، فهل تنجح في لملمة الشظايا وتستمر المؤامرة؟ ❑

تشيني وحكام بغداد

في أول زيارة لديك تشيني (نائب بوش) بعد احتلال العراق، نشرت الصحف أن رئيس وزراء العراق (الجعفري) لم يعلم بوجوده

في العراق إلا قبل لقائه بدقائق معدودة، وهذا يدل على مقدار الاحتقار الذي يمارسه حكام أميركا تجاه عملائهم، فهم لا يثقون بهم حتى يخبروهم مسبقاً بالزيارة، ثم لا يطلبون إذناً من أحد قبل أن تهبط طائراتهم في مطار العراق، أو قبل أن تعبر أجواء العراق، فمن هو السيد ومن هو العبد يا ترى؟ وهل هؤلاء حكام فعليون أو توابع للبيت الأبيض؟ وقال طالباني مخاطباً تشيني: إنه أحد أبطال تحرير العراق! ولم يقل احتلال العراق ❑

بلير يدعم علاوي

ذكرت صحيفة «الإندبندنت» البريطانية إن الحكومة البريطانية تسعى إلى تأجيل إجراء تحقيق في سرقة ما يزيد على بليون دولار من وزارة الدفاع العراقية؛ لمساعدة مرشحها المفضل في الانتخابات البرلمانية العراقية وهو رئيس وزراء العراق السابق إياد علاوي، وقالت الصحيفة إن توني بلير أرسل فريقاً صغيراً من الخبراء إلى بغداد لتقديم دعم سياسي لعلاوي، وذكرت الصحيفة أن مبلغ ١,٧ بليون دولار اختفى خلال فترة حكم علاوي. هل هذا يدل على أن علاوي من حصة بريطانيا بينما الكتل الأخرى بعضها لأميركا وبعضها لإيران؟ ❑

أميركا والتعذيب

في زيارتهما لبروكسيل قالت كونداليزا رايس إن بلادها لا يمكن أن تمنح ضمانات في شأن عدم تعذيب معتقلين بشبهة (الإرهاب) على رغم حظر القوانين الأميركية تلك الممارسات، وأضافت: «لا يعني كوننا ديمقراطيين أننا كاملون، لكنني أتعهد التحقيق في أي تعذيب ومعاقبة مرتكبيه» ❑

بريطانيا والصفقة النووية

وجهت اتهامات إلى الحكومة البريطانية بأنها تسترت على بيع ٢٠ طناً من المياه الثقيلة إلى (إسرائيل) لتستخدمها في برنامجها النووي خلال الخمسينيات، وكشفت هيئة الإذاعة البريطانية أن أدلة جديدة تكشفت توضح أن المملكة المتحدة كانت تعرف أن المواد التي باعتها النرويج ستباع فيما بعد لـ(إسرائيل) لاستخدامها في برنامجها النووي ❑

عمرو موسى والعراق

عمرو موسى دخل العراق ودعا مختلف الأطراف لحضور مؤتمر القاهرة، وعقد المؤتمر، وصدرت أصوات تقول بأنه تلقى الضوء من أميركا للقيام بتحركاته تلك. وفي حديث له على هامش «منتدى الفكر العربي» في دبي نفى عمرو موسى حصول الجامعة العربية على ضوء أخضر من الولايات المتحدة للقيام بدور في العراق، وقال: شعرت بالقلق مما توافر لدي من المعلومات عن تدخل الأوروبيين والإيرانيين والأتراك، وأضاف: «الجميع في مأزق، الأميركيون والعراقيون والعرب، ويمكن أن نقول إن المآزق تضاربت حتى بات الجميع يريد طريقاً للخروج من هذه المآزق». ويبدو أن النفي إثبات مهما لفّ ودار هذا الأمين على المصالح، وتلاعب بالكلمات ❑

التعذيب متواصل

كشف المشرف السابق على القوات العراقية الخاصة التي أنشأها الاحتلال منتظر السامرائي، يوم ٢٠٠٥/١٢/١٢م، للصحافة العربية في عمان، أنه شهد أموراً مروعة داخل مراكز الاعتقال متهماً قوات بدر بأعمال التعذيب، وأضاف وهو يمسك قرصاً مدمجاً صوره بنفسه وتظهر فيه صور للتعذيب: «هناك أمور مروعة تحصل داخل مراكز الاعتقال. آلاف السجناء بعضهم مراهقون تظهر عليهم آثار الضرب، والحرق، والتعذيب بالكهرباء، مما أدى بالنتيجة إلى موت عدد كبير منهم». وهو مقتنع بأن عليه أن يروي ما يحصل من تعذيب مروع داخل العشرات من مراكز الاعتقال السرية التي كان يزورها في نطاق عمله. وقال السامرائي إن وزير الداخلية بيان جبر صولاغ عيّن ١٧ ألف عنصر من ميليشيات بدر في الشرطة، وأن هؤلاء يتلقون رواتب من طهران، وأن المسؤولين الكبار في الوزارة أعضاء في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وحزب الدعوة، وأن بعض رجال الشرطة يتحدثون الفارسية فيما بينهم، والذين يقومون بالتعذيب «جميعهم إيرانيون أو عراقيون كانوا في إيران قبل الغزو» ❑

أخبار المسلمين في العالم

قمة مكة انعقدت

انعقدت وانفضّت قمة مكة المكرمة وكأن شيئاً لم يكن، لكنهم تحدثوا عن عالم إسلامي جديد، أو حسب تعبير سعود الفيصل: «بناء البيت الإسلامي الجديد»، لكنهم لم يفصّلوا ما هو الجديد؟ وما هو القديم؟ وما هي المواقف من أميركا و(إسرائيل) واحتلال العراق؟! ❑

المفتي وتحليل بيع الخمور

أصدر مفتي مصر فتوى تبيح للمسلمين بيع الخمور في أوروبا، وذلك طبقاً لتقرير نشر يوم ١٢/١٩ في صحيفة (المصري اليوم) المصرية. وذكرت الصحيفة أنها حصلت على نسخة من فتوى (علي جمعة) مفتي الديار المصرية، والتي أصدرها بعد تلقيه طلباً من عائلة تمتلك مشروعاً سياحياً في بلد أوروبي لم تذكره. إلا أن عدداً من علماء الأزهر أعربوا عن غضبهم ورفضهم لفتوى جمعة، وقال عدد من علماء الأزهر إنهم يعتقدون أن النبي محمد ﷺ له قول فصل في تحريم الخمر. إن هذه الفتوى، إن صدقت الصحيفة، تؤكد استهتار علماء عينتهم السلطات الحاكمة في منصب الفتوى، تماماً كما حصل مع مفتي الأزهر (الطنطاوي) حينما حلل ربا المصارف عام ١٩٨٩م، ثم عاد وكرر الفتوى عام ٢٠٠٢م، ولم يستمع لاعتراضات علماء مصر وباقي علماء الأمة ❑

التعذيب أيضاً وأيضاً

كشفت المشرفة السابقة على سجن أبو غريب في العراق جانيس كاربينسكي أن التعذيب مازال يمارس في هذا المعتقل بعد سنتين على فضيحة العام ٢٠٠٤م، وقالت كاربينسكي رداً على سؤال لصحيفة «أفولادي ساوباولو» البرازيلية حول ما إذا كانت أعمال التعذيب مازالت تمارس في السجن: «نعم؛ لأن بعض الضباط يؤكدون لدى عودتهم من العراق، وبعد قسم اليمين، أنهم شهدوا أعمال تعذيب، مشيرة إلى أن ٨٠ في المئة تقريباً من السجناء في أبو غريب أبرياء تماماً، ولا يملكون أية معلومات مرتبطة بالإرهاب» ❑

المقاومة والإنترنت

ذكرت صحيفة «صنداي تليغراف» البريطانية في ١٢/١٨ نقلاً عن خبراء عسكريين قولهم إن (المتمردين) في العراق، ربما يستخدمون صوراً التقطتها أقمار اصطناعية موجودة على شبكة الإنترنت لمهاجمة مواقع الاحتلال الأميركي والبريطاني في العراق. وذكرت الصحيفة أن موقع (غوغل إيرث) يسمح لمستخدميه تقريب الصورة في أي موقع في العالم إلى مسافات يمكن عبرها التمييز بين السيارات، موضحة أن الموقع يمكنه أيضاً تزويد مستخدميه بخط العرض وخط الطول للمباني، وقال الخبير بيل سويتمان في النشرة العسكرية جاينس: «إن الصورة يمكنها أن تخوّل الإرهابيين في العراق تحديد الأهداف في داخل القواعد العسكرية بدقة» ❑

اليهود والعراق

ذكرت صحيفة المحرر العربي أن فريقاً أميركياً - (إسرائيلياً) مشتركاً أقام له مركزاً في المنطقة الخضراء في بغداد، يقوم حالياً بالتدقيق في ممتلكات اليهود العراقيين الذين غادروا بلادهم إلى إسرائيل إبان عهد رئيس الوزراء نوري السعيد في مطلع الخمسينات من القرن الماضي. وكان جرى اتفاق بين أميركا و(إسرائيل) على دفع تعويضات باهظة لأولئك اليهود الذين هاجروا طوعاً، وذلك مع الفوائد المترتبة على ثمن تلك الممتلكات ❑

واشنطن والاغتيالات

نشرت صحيفة السفير اللبنانية في ١٢/٢٠ الخبر التالي:

(اتهم رئيس وكالة الاستخبارات الباكستانية السابق حامد غول الولايات المتحدة في ١٢/١٩ بالمسؤولية عن اغتيال الرئيس الباكستاني السابق الجنرال ضياء الحق مع مجموعة من كبار الجنرالات العسكريين، بتفجير طائرته عام ١٩٨٨م، وقال غول: «إن واشنطن قامت برتيب تفجير طائرة ضياء الحق، وأن الاستخبارات الباكستانية أبلغت الرئيس قبل حادث الاغتيال بنحو ثلاثة أسابيع بأنه يتعين عليه أن يحدد حركته»، وأضاف: «إن المناخ العام في ذلك الوقت كان قاتماً، وإن الجنرال ضياء الحق قام بحل البرلمان الأمر الذي أزعج السلطات الأميركية، مشيراً إلى أنه كانت هناك إشارات دبلوماسية بأن ضياء الحق قد عزل نفسه») ❑

مواجهة حرب الأفكار

هذه دراسة عن حزب التحرير (ح. ت.) وضعتها زينو باران مديرة الأمن الدولي والطاقة في مركز نيكسون في واشنطن دي سي.

وهذه الدراسة تكشف بدء اهتمام الغرب بـ(ح. ت.) نتيجة إدراك مدى خطورته في عملية النهضة الإسلامية التي باتت تؤرق الغرب بقوة. وهي دراسة تشكل محاولة جادة للتعرف على (ح. ت.) من أجل وضع حد لنشاطه... ولكنها تطرح إشكالية تعتبرها صعبة على حكومات الغرب وهي: إن (ح. ت.) فكري غير عنفي فحظره ومواجهته تعارض حرية الرأي والمعتقد في المبدأ الرأسمالي وتشكل تخلياً عن أساسيات هذا المبدأ، وفي المقابل لا يمكن تركه ينشط لأن فكره خطر جداً إذ يدعو إلى الخلافة، وجمع المسلمين على صعيد واحد. وبحسب قولها: «وإهمال هذه المشكلة لم يعد مطروحاً» ومما جاء في هذه الدراسة:

حزب الطليعة (القيادة)

مازال الإسلام والغرب غير متورطين في صراع الحضارات، ولكن بدأ الغرب بالتورط في صراع أيديولوجيتين متنافستين في العالم الإسلامي. أما أنصار الأيديولوجية الأولى، فيعتقدون بأن الإسلام يتوافق مع الديمقراطية العلمانية والحريات المدنية الأساسية. ويلتزم أنصار الأيديولوجية الثانية باستبدال النظام العالمي الحالي بنظام خلافة جديدة -أي دولة إسلامية تعم العالم بأسره-. وهؤلاء هم من يسعون لإشعال صراع حضارات حقيقي، وجزء من ذلك يعود إلى أنهم يجبرون المسلمين الأكثر اعتدالاً لاختيار تفسيرهم للإسلام.

لقد أصبحت المنظمات الإسلامية المتطرفة، مثل القاعدة، مشهورةً خلال السنوات الماضية لأنها حاولت تحقيق أهدافها بواسطة الإرهاب والعنف السياسي. أما المنظمات الأقل شهرةً هي تلك التي تكمل أعمال المنظمات المتطرفة بتكريس جهودها ليس للعمل المباشر بل للصراع الأيديولوجي. وأهم حزب من هذه الأحزاب هو (ح.ت) وهو عبارة عن حركة عابرة للحدود لعبت دور الطليعة في إنشاء الأيديولوجية الإسلامية السنية المتطرفة.

لا يعتبر (ح. ت.) منظمة إرهابية إلا أنه من السهل جداً اعتباره بمثابة حزام وصل للإرهابيين... كما أنه خطر من الصعب أن تواجهه المجتمعات الليبرالية.

لقد تم تبسيط أيديولوجية وعلم اللاهوت الخاص بـ(ح. ت.)، اللذين تم اشتقاقهما من أحزاب إسلامية متطرفة أخرى، كي يسهل للعامة الوصول إليهما. وفي الوقت الذي تصر فيه العديد من الجماعات الإسلامية الأخرى على الصحة المطلقة لتفسيراتها الدينية، أو ما يتعلق بهوس قضية واحدة جزئية، فإن (ح. ت.) يركز على الهدف الأسمى وهو توحيد جميع المسلمين تحت راية الإسلام، وبالتالي يقوم بالتركيز على قضايا تهم الجميع مثل صراع الحضارات، أو شتى أنواع الظلم الذي يعاني منه المسلمون في العالم؛ ولهذا

ينظر العديد من المتطرفين الإسلاميين إلى هذا الحزب كحليف وليس كمنافس، وغالباً ما يستخدمون مفاهيم (ح. ت.) وأدبياته (المتوفرة على شبكة الإنترنت) لتنظيم أنصارهم.

إن أعظم إنجاز لـ(ح. ت.) هو قدرته على تغيير مصطلحات النقاش في العالم الإسلامي. قبل بضعة سنوات، كانت معظم الجماعات الإسلامية تنظر لفكرة إقامة خلافة جديدة كهدف ممكن تحقيقه فقط في الأحلام، ولكن اليوم أعداد متزايدة من الأشخاص يعتبرونها هدفاً جدياً. وبعد أن قضى (ح. ت.) عقوداً من الزمان وهو يصر على ضرورة توحيد الأمة الإسلامية، بإمكانه اليوم أن يفخر بالشعور المتنامي عند المسلمين بأن هويتهم تنبع ليس من جنسيتهم أو عرقهم أو وطنيتهم، بل من دينهم الذي يكرسون له الولاء التام.

من الصعب تحديد حجم (ح. ت.) بالضبط؛ وذلك لأنه يتكون من خلايا سرية، ولكن يقدر بأن عدد أعضائه يبلغ المئات في الدول الأوروبية مثل الدانمرك ويصل إلى عشرات الآلاف في الدول المسلمة مثل أوزبكستان. وقد حظرت معظم الدول الإسلامية (ح. ت.) بالإضافة إلى روسيا وألمانيا بعد أن أدركوا الخطر الذي يشكله أمامهم، ولكن سمح له حتى مؤخراً بالعمل بحرية في مناطق أخرى وخاصة في المملكة المتحدة التي لعب فيها دوراً أساسياً في قلب تفكير الشباب المسلم الناقم.

إلا أنه منذ وقوع التفجيرات في لندن خلال شهر تموز/ يوليو الماضي، تغير السلوك البريطاني. في شهر آب/ أغسطس، أعلن رئيس الوزراء البريطاني، توني بلير، عن تبني حكومته لسلسلة من الإجراءات الجديدة لمواجهة خطر التطرف الإسلامي، ومن هذه الإجراءات تجميع قائمة من مواقع الإنترنت والمكتبات والمنظمات المشتبه بها، مع احتمالية ترحيل المجنسين الأجانب المرتبطين بها. وأضاف بلير أن حظر (ح. ت.) في المملكة المتحدة سيكون جزءاً من هذه الإجراءات. إلا أن بعض مستشاري بلير في الجالية الإسلامية يعارضون فكرة الحظر هذه مرتكزين على حقيقة أن هذا الحزب نفسه لا يميل إلى العنف.

وحقيقةً إن (ح. ت.) يشكل منطقة مساعدة لنمو النزاعات المسلحة، إلا أن نشاطاته التي تتعدى التعبير عن الرأي ولكن لا تصل لدرجة الإرهاب تجعل من عملية ضبطه تحدياً كبيراً أمام الأنظمة الديمقراطية الليبرالية. ويبقى من المبهم أن نعرف كيف ستواجه الحكومات الغربية ومجتمعاتها هذا التحدي الذي يلقيه أمامهم (ح. ت.) بدون أن يضحوا بقيمهم الغالية. وعلى أية حال، فقد أصبح جلياً أن إهمال هذه المشكلة لم يعد مطروحاً.

في عام ١٩٥٣م، قام قاضٍ فلسطيني يدعى الشيخ تقي الدين النبهاني بإنشاء (ح. ت.) في القدس الشرقية التي كانت تخضع آنذاك لحكم الأردن. وتبعاً لأعمال قطب وغيره من الإسلاميين، رفض النبهاني الرأسمالية معتبراً إياها نظاماً استغلالياً، والديمقراطية لكونها غير ربانية. ووفق تقديراته، فإن الطريقة الوحيدة لإعادة إقامة المجتمع الإسلامي على نهج الرسول تبدأ بتحرير المسلمين من الأفكار والأنظمة والقوانين الكافرة، وإبدال نظام الدولة المسيطر عليه من قبل اليهود والمسيحيين بنظام الأمة التي لا حدود لها وعلى رأسها خليفة جديد.

واعتبر النبهاني كل من الحضارة الغربية والإسلام كنظامين استثنائيين يطمحان للسيطرة الأيديولوجية في المجتمعات المسلمة. وقال إن الرأسمالية والاشتراكية ملعونتان إذ إنهما فشلتا بالاعتراف بصدارة الإسلام. و(ح. ت.)، الذي يتبع معتقدات مؤسسه، قد حظي على سقوط الشيوعية بدون أي عناء يذكر، وبقي النظام الرأسمالي الديمقراطي الغربي هو العائق الأساسي أمام إقامة المجتمع الإسلامي الحقيقي. وبالرغم من الكره البغيض الذي يكنه (ح. ت.) للحكومات الحالية في العالم الإسلامي، إلا أنه لا يرحب بجهود الولايات المتحدة «لترويج الديمقراطية» حيث يعتبرها جزءاً من مؤامرة استعمارية جديدة، وآخر صورة للحقد الغربي الدائم تجاه الإسلام. وبالنسبة لـ(ح. ت.) وأتباعه، فإن «الحرب على الإرهاب» هي مرادفة لـ«الحرب على الإسلام».

توفي النبهاني عام ١٩٧٧ وخلفه عبد القديم زلوم، وهو شيخ فلسطيني، وخلفه عام ٢٠٠٣م عطا أبو الرشتة الذي كان الناطق الرسمي لـ(ح. ت.) في الأردن. وقد أصبح (ح. ت.) أكثر عدوانية تحت قيادة الرشتة، كما وتعتقد مصادر المخابرات الغربية أن الحزب وجه أوامر لأعضائه بتوجيه نشاطاتهم ضد حلفاء الولايات المتحدة، وخاصةً الدول التي دعمت الحرب على العراق. ولطالما تميزت أيديولوجية (ح. ت.) بمعاداة علنية للسامية، مقتبسين آيات من القرآن التي حسب قولهم تذكر أن على المسلمين واجب «هدم الكيان اليهودي الوحشي».

يصف (ح. ت.) نفسه على أنه حزب سياسي، ويمتنع عن التورط في أي نشاط إجرامي أو إرهابي.

على منهاج النبوة؟

يسعى (ح. ت.) لاتباع نهج الرسول محمد في إقامة دولة إسلامية في محاولته لإعادة إقامة الخلافة من جديد. ووفقاً لتفسير الجماعة، فإن الرسول قد قام بذلك عن طريق نشر الأفكار بصبر بليغ، ثم بتنظيم أتباعه، وأخيراً التحرك لأخذ زمام السيطرة. وبالتالي يخطط (ح. ت.) لعملية خاصة به مكونة من ٣ مراحل.

في المرحلة الأولى، يركز (ح. ت.) على بناء الحزب ويحقق هذا الهدف عن طريق تجنيد الأعضاء والدعاية. وتختلف مناهج التجنيد من بلد إلى آخر، ولكن يقوم أعضاء (ح. ت.) في العادة بالبحث عن الشباب من ذوي التساؤلات حول الوجود والحياة ويدفعونهم إلى دائرة الحزب. ويتم تقديم المرشحين المحتملين رسمياً إلى جهاز الحزب بالتعامل مع مجموعة تثقيف، حيث تنضم الأغلبية إلى المجموعة للتثقف عن الإسلام، وبعد انتهاء عملية تأهيلهم، التي قد تدوم من ٦ أشهر وحتى ٣ سنوات، يصبح أعضاء (ح. ت.) مستعدين من الناحية الأيديولوجية والروحانية لمواجهة أي صعوبات في طريق نضالهم.

وفي المرحلة الثانية من مخطط الحزب-والتي قد وصل إليها الحزب في معظم الدول التي يعمل فيها- يحاول أعضاء الخلايا الجديدة خلق أجواء توتر بين الحكومات والشعوب. ويطلب من الأعضاء تعديل سلوكهم بما يناسب اندماجهم في المجتمع، والتغلغل في الحكومة.

وعند انتهاء المرحلة الثانية، يكون الوضع قد وصل إلى مرحلة تسمح بقيام ثورة إسلامية وإقامة دولة تحكمها الشريعة. ويعتقد الحزب أن الوصول إلى المرحلة الثالثة يتم عندما تتبنى الأمة تفسير

(ح. ت.) للإسلام وكل الترتيبات المرتبطة بذلك. وبخلاف معظم جماعات الجهاد العالمية، يؤمن (ح. ت.) بمقدرته على خوض ثورة سياسية بدون اللجوء إلى العنف، بل معتمداً على اختراق المؤسسات الحكومية وتجنيد كبار الضباط.

بالرغم من أن (ح. ت.) يخوض حرباً أيديولوجية لأكثر من نصف قرن، إلا أنه قد حقق مؤخراً تقدماً كبيراً باستخدام أحدث الوسائل ألا وهي الشبكة العالمية (الإنترنت). وبالتأكيد فإن الوصول إلى الإنترنت في أي مكان من العالم هو أفضل طريقة لجماعة تنكر شرعية الحدود السياسية. وبإمكان المسلمين في أي مكان في العالم الوصول إلى مواقع (ح. ت.) على الإنترنت بسهولة.

وقد صممت مواقع (ح. ت.) بشكل يجذب المسلمين الذين يتجولون عبر شبكة الإنترنت، والذين يشعرون بالاغتراب في مجتمعاتهم حيث توفر لهم هذه المواقع الأخبار والتحليلات وتبادل الآراء، فيشعرون بأنهم جزء من مجتمع إسلامي عالمي. بالإضافة إلى أن هذه الطريقة لا تعرف أي تفرقة جنسية، على عكس المناهج الأخرى، بحيث تسمح للمرأة بالمشاركة في النشاط السياسي عبر العالم الفضائي، الأمر الذي يمنع عنها بوسائل أخرى.

وفي الوقت ذاته، توفر مواقع (ح. ت.) للجيل المسلم الثاني في الغرب أدبيات بعدة لغات. وعادة ما يشكو هؤلاء المسلمون من أن معلوماتهم عن الإسلام تأتي من «المستشرقين» الغربيين. ويملأ (ح. ت.) هذا الفراغ بمتابعته الخاصة للدين والأحداث والعالم.

الفكر عالمي ولكن العمل محلي

يمارس (ح. ت.) اليوم نشاطه في أكثر من ٤٠ دولة، وقد صمم بدقة استراتيجية خاصة لكل دولة. إن نهج (ح. ت.) هو هيكلي وغير مركزي في الوقت ذاته، وعالمي ومحلي، حيث تكرس جميع فروعه جهودها لهدف واحد وهو القيام بثورة عالمية، ولكن يتم استخدام تكتيكات مختلفة في الأماكن المتعددة.

ويركز (ح. ت.) جهوده في ثلاث مناطق: تركيا وآسيا الوسطى وأوروبا الغربية. وتعتبر تركيا ساحة معركة الأيديولوجيات من عدة نواحٍ. فإذا تم قبول الدولة التي هدمت الخلافة في الاتحاد الأوروبي (النادي المسيحي)، ستكون النتيجة إثبات خطأ صحة مثال «صراع الحضارات» الذي يقدمه (ح. ت.).

وقد تمكن (ح. ت.) من تأسيس قواعد له في تركيا على العكس مما كان متوقعاً. ويتركز جدول أعمال (ح. ت.) في هذه الأيام على إقناع الأتراك بعدم المحاولة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي؛ وذلك لأن عضويتهم ستفقدهم هويتهم الإسلامية. وبالمقابل، يقول (ح. ت.) إن على تركيا رفع راية الإسلام لتصبح المعارض القيادي للحضارة المسيحية- اليهودية.

وكانت أوزبكستان بمثابة مكافأة لـ(ح. ت.) في آسيا الوسطى. إن أكبر هدية قدمت لـ(ح. ت.) في أوزبكستان هي الحكم الديكتاتوري للرئيس إسلام كريموف، حيث جاء (ح. ت.) في الوقت المناسب لاستغلال وضع البلاد الخطير، حيث الفساد والفقر والإدمان على المخدرات والقمع. إضافةً إلى أن (ح. ت.) قد أجاب على حاجات الأشخاص الملحة، وملأ الفراغ النفسي العميق الذي يشغل حياة العديد منهم.

أما ثالث تركيز إقليمي لـ(ح. ت.) فيكمن في

أوروبا حيث يوجد للحزب حضور قوي في عدد من الدول ذات النسب الكبيرة من المسلمين. والعديد من أعضاء (ح. ت.) الأوروبيين هم من المهاجرين الذين هربوا من دولهم القمعية على المستوى السياسي في العقود الأخيرة. وأدت صعوبة أوروبا الغربية باحتضان ودمج هؤلاء المهاجرين إلى شعور العديد منهم بالغربة وفقدان هوية واضحة، وهنا لعب (ح. ت.) دوره لتسخير هذه المشاعر لصالحه. وقد نجح (ح. ت.) بالأخص في تجنيد الشباب المحبط والذي فقد إيمانه بأنظمة الدول التي جاء إليها هو أو أهله.

ما الذي يتوجب عمله؟

قدم (ح. ت.) للمسلمين تفسيراً مقنعاً حول سبب تخلف العالم الإسلامي عن الغرب خلال القرون الأخيرة. كما وفر لهم علاجاً بسيطاً لهذا الأمر: إقفال الهوة عن طريق تدمير النظام الحالي. وما يزال التاريخ يلعب دوراً فاعلاً في هذه النظرة. وكما قال عمران وحيد، المتحدث باسم (ح. ت.) في المملكة المتحدة، معلقاً: «يقول فوكوياما (فرانسيس) إننا قد وصلنا إلى نهاية التاريخ لأنه لا يوجد نظام بديل فعال لأيديولوجية الاشتراكية والحضارة الغربية. أما نحن، فنعتبر عملنا تحدياً مباشراً لهذه المقولة: ويجب أن نثبت خطأ مقولته».

استطاعت الولايات المتحدة (والغرب بشكل عام) بالظهور والسيادة خلال الصراع الأيديولوجي الأخير (الحرب الباردة).

ومن الضروري إدراك ظهور صراع آخر من هذا القبيل وحاجته لتبني استراتيجية مستمرة مماثلة. الفرق اليوم هو أن الفئة المستهدفة مدركة تماماً للبديل الغربي وترفضه بشدة. كما ويؤمن عدد متزايد من المسلمين- وليس فقط الإرهابيين- بأنه سينظر لهم نظرة متدنية طالما يعيشون في عالم تقوده الولايات المتحدة. ويعتقدون أن خطة جورج و. بوش «للحرية والديمقراطية» هي مجرد خدعة لتتمكن الولايات المتحدة من بسط زعامتها على العالم. ويناقش (ح. ت.) قائلاً إن على المسلمين التوحد والبروز كي يستعيدوا عزتهم السابقة بدلاً من الانصياع للنظام الحالي. وهكذا فإن البنية السياسية الدولية للحرب الباردة قد انقلبت على رأسها: تماماً كما فعلت الولايات المتحدة للمنشقين وراء الستار الحديدي، يقوم (ح. ت.) وإخوانه اليوم برفع آمال المسلمين المتضررين بوجود بديل نزيه للقمع الذي يعيشونه.

أول ما يجب القيام به لمواجهة هذا التحدي هو حرمان (ح. ت.) من القدرة على تشويه سمعة الولايات المتحدة والذين تنظر إليهم. ولكن، خلال ما جرى في الحرب على العراق، ومعاملة السجناء في سجن أبو غريب وخليج غوانتانامو، جعل من مصداقية الولايات المتحدة وسلطانها المعنوي في الحضيض في العالم الإسلامي.

كما يجدر على واشنطن التقليل من الأسباب العامة للمآسي التي يستطيع المتطرفون المناهضون لأميركا استغلالها، مثل الكبرياء الذي تظهر به أميركا سلطتها، وتحيزها في تعاملها مع الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني. وبالرغم من أن هذه النصائح السياسية تبدو مألوفة إلا أنها في غاية الأهمية.

والمهمة الثانية: إيجاد طرق لقمع نشاطات (ح. ت.) والمنظمات المشابهة له بدون التعرض للعديد من الحريات المدنية. وهذه المهمة أكثر

حداثة وربما الأصعب. وبالتالي على الحكومات والمجتمعات في الغرب حماية نفسها ليس فقط من خطر الإرهاب، بل أيضاً من التحريض غير المباشر الذي هو من اختصاص (ح. ت.).

ولهذا على القادة السياسيين أن يشرحوا لشعبهم أنه يجب تسييس القيود الموضوعة على الحقوق المدنية بحذر شديد، إلا أن أي فشل باتخاذ إجراءات الحذر المناسبة قد يؤدي إلى متاعب كبيرة فيما بعد. وإذا لم يوقف الغرب انتشار التطرف، فإن المجتمعات ستميل إلى التمزق بينما يزداد التوتر وتزداد ردود الفعل الدرامية بعد وقوع هجمات جديدة.

وقد وصلت هذه المشاكل إلى أشدها في المملكة المتحدة حيث أعلنت حكومة بلير عن نيتها سن قوانين تحظر (ح. ت.). وتتمحور أهداف بلير حول محاربة الإرهاب والناشطين الذين يدعمونه، ويبدو أنه مستعد لتعديل قوانين حقوق الإنسان من أجل تحقيق ذلك بشكل يسهل عليه تهجير المواطنين الأجانب الذين يشتبه بارتباطهم بالإرهاب. وربما قد تبدو هذه الإجراءات قاسية إلا أنها ضرورية وحان وقتها.

وبالرغم من أن العديد من الدول الأوروبية، مثل الدانمرك وهولندا، قد تناقشوا حول حظر (ح. ت.)، إلا أن ألمانيا هي الوحيدة التي حظرته (عام ٢٠٠٣م) وقامت بذلك عن طريق تطبيق قوانينها الخاصة بمناهضة السامية.

أما المهمة الثالثة فتكمن في مساعدة المعتدلين للفوز بالحرب الأهلية الإلهية والأيديولوجية التي تجري الآن في العالم الإسلامي. ومن الممكن البدء بذلك بأن يقوم الصحفيون الغربيون ومنظمات حقوق الإنسان بالكشف عن الصورة الكاذبة التي أوجدها (ح. ت.) عن نفسه وهو صورة المنظمة «المسالمة». كما يمكن للغرب أن يقدم المساعدة عن طريق تشجيع الحكومات في الدول الإسلامية السماح للمنظمات الدينية المسالمة بترويج التسامح ونشر حوار الأديان. وأخيراً يمكنها مساعدتهم بتطوير منهج دراسي يركز على التفكير النقدي والوطنية والأخلاقيات وجميع القيم الإسلامية التي تتوافق مع الديمقراطية والعلمانية.

وفي هذا المضمون، سيمثل ترشيح تركيا للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي امتحاناً مهماً للسياسة الغربية. فإذا قبل الاتحاد الأوروبي بالعادات الإسلامية التركية التي تصر على تقارب الحضارات، إذاً سيخسر (ح. ت.) برهانه الدائر حول صراع الحضارات. ولكن، إذا رفض انضمام تركيا الكامل إلى الاتحاد الأوروبي، فهذا يدل على صحة نظرة (ح. ت.) حول عالم منقسم.

بالتأكيد هذه المهام ليست سهلة، ومن غير الممكن تنفيذها بسرعة، إلا أن البديل لعدم تنفيذها هو ترك السرطان ينتشر بحرية. إن الصراعات الأيديولوجية تتطلب وقتاً أكبر لإزالتها من الحروب العسكرية المباشرة. وحتى عند القضاء عليها، يبقى نجاح المهمة غير مؤكد أو دائم؛ ولهذا فإن مكونات أي استراتيجية يجب أن تشمل الصبر والإصرار. في الذكرى الرابعة لهجمات ١١ سبتمبر/ أيلول، علق البعض معترضين بأن الهزيمة قد لحقت بالمحور بعد مرور الفترة نفسها بعد بيرل هاربر. وكان الأجدر بهم أن يدركوا بأن الحرب الباردة قد استمرت أكثر من نصف قرن ❑

الحملة الرأسمالية على المرأة المسلمة (٢)

المرأة في العصر الحديث

تخضع المرأة المسلمة لحملة شرسة من دول الغرب الرأسمالي الكافر، حيث يريد أن يخرجها من مخدع الطهر، وعفاف العلاقة، إلى جعلها سلعة تجارية، وموضعاً لإشباع الشهوة فقط... إن هذه الحملة بدأت منذ بواكير حملته على الأمة، ولكن وتيرتها زادت في الآونة الأخيرة، وخاصة بعد ٩/١١. فكيف ينظر العالم قبل الإسلام، وفي العصر الحديث، إلى المرأة؟ وما الذي تخطط له الولايات المتحدة وربيبتها الأمم المتحدة في هذا الموضوع؟.. هذا ما سنبينه إن شاء الله تعالى.

في مطلع هذا العصر وقبل هدم دولة الخلافة عام ١٩٢٤م كانت المرأة المسلمة تعيش في ظل الأحكام الشرعية معززة مكرمة يُنظر إليها نظرة إكبار واحترام.

أما المرأة غير المسلمة سواء في الغرب أو الشرق فكان وضعها يختلف تبعاً لاختلاف الديانات والأنظمة والأعراف السائدة، فهي في أوروبا غيرها في جنوب شرق آسيا أو أفريقيا أو استراليا أو أمريكا اللاتينية.

ففي أوروبا كانت تتمتع ببعض الحقوق والامتيازات ولكن هذه الحقوق كانت ناقصة، وكان هناك تمييز واضح بين الرجل والمرأة، فالسيطرة الكاملة للرجل حيث يعيش الاثنان في ظل ما تبقى من تعاليم الديانة النصرانية، خاضعين لهيمنة الكنيسة، التي كان همّها الأساس دعم مراكز الملوك أكثر من رعاية المرأة أو الرجل، وكانت المرأة شأنها شأن الرجل تسعى لإرضاء الكنيسة ومن يقوم عليها، وهؤلاء كانوا ينظرون إليها بمهانة ودونية.

وقد بقيت الحال هكذا إلى أن جاءت الرأسمالية وحل عصر الثورة الصناعية، فبدأ الرأسماليون يطالبون بحقوق المرأة.

وأما المرأة في باقي بلاد العالم، فكانت في حال أسوأ من حال المرأة في أوروبا. ففي أفريقيا كانت المرأة مهانة وينظر إليها نظرة احتقار، يسمح باستعبادها، فتباع وتشترى وتستغل في العمل سواء في البيت أم الحقل أم غيرهما. وفي باقي البلاد كان الوضع شبيهاً إلى حد ما بالوضع في أفريقيا إذا استثنينا موضوع العبودية والاسترقاق.

ولما كانت المرأة المسلمة قبل هدم الخلافة في وضع جيد، لها من الحقوق والتكريم الشيء الكثير، فقد تعرضت للحقد والمكر، فأُريد لها الشر، وجرى السعي لإفسادها لأنّ في ذلك إفساداً للمجتمع الإسلامي كله. وأدرك الغرب أنّ إفسادها لا يكون إلا بزعزعة تمسكها والتزامها بالأحكام الشرعية الخاصة بها، وبذلك يسهل إبعادها عن الفضيلة وجرها إلى الرذيلة، فأمعنوا التفكير بالطريقة التي تحقق لهم ذلك، وتوصلوا إلى التذرع بالدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل وبدفعها إلى المطالبة بحقوقها، وجرت أولى المحاولات بذلك عندما احتل نابليون بونابرت مصر عام ١٧٩٨ م، فسعى إلى حثّ المسلمات على التمرد على النظام المطبق عليهن يعني على الإسلام. وفي عهد محمد علي الكبير وخلفائه انفتحت الدولة على الغرب، فأرسلت البعثات إلى أوروبا. كما فُتح المجال أمام الإرساليات

التبشيرية لدخول البلاد التي كانت تحت حكمه، فاستغل نصارى بلاد الشام هذه الفرصة بدافع من تلك الإرساليات، ونشطوا في مجال الصحافة والفن، ولاسيما في لبنان ومصر، وجرى التركيز على مصر، فاحتلت قضية المرأة فيها حيزاً كبيراً من قبل الغرب، فرموا بثقلهم هناك واتخذوا كافة الأساليب الخبيثة لتحقيق أهدافهم، فأوجدوا فيها كل ما من شأنه إفساد الناس، بل قاموا بنشر قذارتهم عن طريق الأفلام والمسلسلات الجنسية وغيرها، ما أدى إلى انتشار الرذيلة في كثير من بلاد العالم الإسلامي. وفي مصر فتح قاسم أمين الباب للدعوة المشبوهة التي تدعو إلى تحرير المرأة، حيث تلقف المغرضون هذه الدعوة ففتحوا المدارس المختلطة للذكور والإناث، وانتشرت المدارس الأجنبية في مصر. وفي البداية كان الأغنياء والحكام هم الذين يرسلون أبناءهم إلى هذه المدارس رغبةً منهم في تقليد الغربيين، ثم انتشر الأمر بين الناس عامة.

ومع حرص الغرب على إفساد المرأة المسلمة والتظاهر بالدعوة إلى تحريرها، فإنّ المرأة في بقية العالم، أي في بلاد غير المسلمين، بدأت بعد مجيء الرأسمالية تسعى للحصول على حقوقها بدافع من دعوات ظهرت تطالب بإنصافها وتخليصها من سيطرة الكنيسة ومن سيطرة الرجل، وقد أشار كثير من المؤرخين إلى أن عام ١٧٩٢م هو بداية الحركة النسائية الأوروبية، وهو العام الذي نشرت به (ميري ولسون) في إنجلترا كتابها المسمى «دفاع عن حقوق النساء» والذي لقي رواجاً في أوساط النساء في كثير من دول أوروبا.

وفي عام ١٨٥٩ م صدر كتاب «أصل الأنواع» لدارون والذي نشر فيه نظريتهُ في التطور مزعزعاً فيه العقيدة النصرانية التي تقول إن الأشياء ثابتةٌ لا تتغير ولا تتبدل، فجاء هو ليقول: «ليس هناك قصد ثابت في الأشياء، وإنّ الإنسان جاء نتيجة لعملية التطور البطيئة التي استغرقت ملايين السنيين»، كما تطرق دارون إلى الأسرة وقال: «كانت الأسرة بمفهومها التقليدي شيئاً جميلاً في الماضي ومناسباً لمرحلة معينة من التطور، وليس من الضروري أن يكون هذا المفهوم اليوم مناسباً ولا جميلاً، بل ليس من الضروري أن تكون هناك أسرة على الإطلاق، لأنّ احتياجات المجتمع هي التي صنعت الأسرة».

ثم ظهر بعد داروين بخمسين سنة من هو أكثر منه تطرفا وهو اليهودي (فرويد) فجاء ليقول «الجنس هو كل شيء، وكل شيء نابع من الجنس»، وقد حضّ الشباب من الجنسين للخروج على التقاليد التي كانت مفروضة عليهم، ودعاهم لممارسة الجنس كيف شاءوا، فظهرت الكتب الجنسية والأشعار التي أُلفت ليتلذذ القارئ بالجنس، وظهرت دور السيمة والمسارح التي استغلت جسد المرأة وأُنوثتها، ما أوجد وضعاً جديداً للمرأة في أوروبا.

وقد انعكس هذا الوضع الجديد على القوانين التي كانت سائدة في الدول الأوروبية، والتي كان فيها نوع من القيود وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة، فعقدوا المؤتمرات لبحث هذه القوانين وتغييرها حتى خلت قوانينهم الجديدة من أي قيمة روحية أو أخلاقية أو حتى إنسانية، وصارت السعادة عندهم هو الأخذ بأكبر نصيب من المتع الجسدية ومنها التلذذ بالجنس، وصارت المرأة لا قيمة لها إن شوهت أو أصيبت بمرض أو عاهة أو كبر سنها، وقيمتها أصبحت عندهم تكمن في صغر سنها وجمالها وجاذبيتها الجنسية. وأخذوا بالحرية الشخصية، فكان التحلل والتفكك الأسري والانفلات من كل قيد، فأصبحت الرذيلة مقننة عندهم، يمارسونها في بيوت مرخصة، تحميها الشرطة والقانون، وصاروا يطالبون شعوب العالم بأن يحذوا حذوهم، وأخذوا يُسوقون هذه الحرية

إلى معظم شعوب الأرض باسم الديمقراطية، وبالأخص إلى الشعوب المستعمَرة كشعوب العالم الإسلامي. وقد نظروا إلى مصر نظرة خاصة لأهميتها وخطورة موقعها لاتصالها جغرافياً ببلاد الشام من جهة وبالسودان وباقي شمال أفريقيا من جهة أخرى، ولما لها من تأثير على سائر المسلمين. لذلك عندما احتل الإنجليز مصر أعطوا اهتماماً خاصاً لموضوع المرأة، ومن خلالها استطاعوا اختراق بلاد المسلمين عن طريق الأفلام السينمائية والمسرحيات والأغاني والكتب التي دخلت كل بيت، وقد تم الاعتماد في إفساد المرأة في هذه البلاد على من سُموا بالمصلحين من مفكرين وأدباء، الذين استجابوا للدعوات الزائفة تحت شعار تحريرالمرأة.

لقد بيَّن المعتمد البريطاني في مصر (كرومر) مدى اهتمام الإنجليز بالنساء المسلمات عندما قال في تقريره الموجه للساسة البريطانيين: «إنّ وضع النساء في مصر وفي البلاد الإسلامية يُعد عقبة قاتلة تحول دون رفع المستوى الفكري والشخصي، الذي يجب أن يصحب دخول الحضارة الغربية إلى بلاد المسلمين، وإذا أرادت هذه الحضارة أن تُحقق أفضل فائدة ممكنة فليس أمامنا إلا تعليم المرأة...»، وكان (كرومر) يرصد تحولات المرأة المصرية فقد كتب عام (١٨٩٨م): «إنّه بالرغم من بطء التقدم إلا أنّه لم يعد هناك وجود للمبالاة التامة التي كان الرأي العام يواجه بها قضية تعليم البنات في السنوات الماضية».

ثم عاد وكتب عام (١٩٠٠م): «إنّ التغيير الذي حدث للرأي العام المصري خلال السنوات الماضية بخصوص قضية تعليم المرأة لهو تغيير يثير الانتباه». لذلك نجد الإنجليز قد فتحوا الباب على مصراعيه للإرساليات التنصيرية والمدارس الأجنبية في مصر، حيث بلغ عددها عام (١٨٩٢م) أكثر من (٥٠) مدرسة. كما تم فتح مدارس أهلية بلغ عددها في تلك السنة (٤٠) مدرسة. وقد تولت خريجات هذه المدارس فيما بعد مهمة التدريس والتعليم على الأسس الغربية، والتحق بعضهن بالجامعات الأجنبية ليعدن إلى مصر بأفكار الحضارة الغربية متمردات على الدين وفضائله. ففي عام (١٩١٩م) خرجت مظاهرة نسائية طافت شوارع القاهرة مطالبة المعتمد البريطاني بإعطاء المرأة المصرية حريتها، وكان عدد المتظاهرات ثلاثمائة على رأسهن صفية زغلول زوجة سعد زغلول، وهدى شعراوي زوجة علي شعراوي باشا.

ونظراً لأهمية الإعلام فلم يقتصر نشاط الإرساليات على إنشاء المدارس للبنات، بل وجد الاهتمام بإصدار صحف ومجلات تختص بالمرأة كان يجري توزيعها على قطاع عريض من النساء وخاصة المتخرجات من المدارس الأجنبية، وكان معظم المشرفات على هذه الصحف والمجلات من نصارى لبنان، وخلال الأعوام من ١٨٩٢- ١٩٠٦ تم صدور ثماني مجلات نسائية مثل: مجلة الفتاة، والفردوس، والحسناء، والزهرة، وفتاة الشرق، وأنيس الجليس، وغيرها.

وهناك مجلات صدرت عن نساء غير مسلمات في كل من لبنان وتركيا، وهدف هذه المجلات جميعها واضح جداً وهو إبعاد المرأة المسلمة عن قيم دينها وتعاليمه. وقد نجح الغرب في تحقيق هذا الهدف إلى حد ما. كما أنّ الحكام الذين نصبّهم الغرب على بلاد المسلمين أطاعوا أسيادهم وساهموا في إفساد الشباب من الجنسين، فجعلوا الجامعات مختلطة، والدوائر الحكومية كذلك.

أمّا المرأة الغربية بشكل خاص، فإنّ وضعها في العصر الحديث يبدو ظاهرياً أنّه حسن أمام من لا يدركون حقيقة الواقع الذي تعيش فيه، فقد أدّى عصر الثورة الصناعية إلى خروجها من المنزل للعمل، وذلك لتحريرها من الرجل على حدّ زعمهم، حيث اعتبروا أنّ الرابط الأساسي للمرأة بالرجل هو

حاجتها المادية إليه، فتمكينها من العمل والكسب يُمكِّنها من فك الارتباط بالرجل، ما يتيح لها فرصة وسهولة التخلي عن الحياة الأسرية وعن الزواج. كما أنَّه وفقا للمبدأ الرأسمالي القائم على الحريات الأربع وأبرزها الحرية الشخصية، فقد أُتيح للمرأة الغربية أن تشارك الرجل في كل شيء وأن يكون لها علاقات جنسية دون قيود أو حدود. ففي موقع B.B.C. NEWS على الإنترنت في ٢٠٠٢/٦/١٣م ورد دراسة لمجلة Top Sante أُجريت على عينة مكونة من خمسة آلاف إمرأة عاملة قال ٢٨% منهن أنهن مارسن الجنس مع زملائهن في العمل وأنّ ثلاثة أرباع العينة قد تعرضن للمغازلة والمداعبة من زملاء العمل، وقال خمس العينة إنهنّ مستعدات للمغازلة مع رؤسائهن في العمل من أجل تحقيق طموحاتهن في الوظيفة. ونتيجة لهذه العلاقات الجنسية خارج بيت الزوجية، ونتيجة لانشغال المرأة في العمل للحصول على لقمة عيشها، لجأت النساء إلى التخلص من أحمالهن بالإجهاض، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد بلغت حالات الإجهاض المسجلة في الولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٩٧٣م إلى عام ١٩٩٨م أكثر من (٣٨) مليون حالة.

لقد أصبحت النظرة إلى المرأة نظرة نفعية جنسية بحتة، تتصدر هي وصورها العارية شاشات التلفاز والإعلانات التجارية، ومحلات البيع والشراء، وأماكن اللهو والترف والمجون، لترويج الملذات المُحَرَّمة والخمور ونوادي القمار ودور الدعارة، ما أدى إلى ظهور مشكلات اجتماعية خطيرة وكثيرة في الغرب، منها انتشار الأمهات غير المتزوجات، وكثرة الأولاد غير الشرعيين، والذين تعدت نسبتهم في إحدى الدول الغربية (٥٠ %) من عدد السكان، كما فشت الأمراض الفتاكة والمعدية الناجمة عن ممارسة الجنس خارج نطاق الأسرة، مثل: مرض الإيدز والهربز والزهري والسيلان وغيرها، وأصبح لكل فتى صديقة، ولكل فتاة صديق، كما أصبح بقاء البنت عفيفة محافظة على عفتها وبكارتها قبل الزواج من الأمور النادرة بل والمستهجنة، كما انتشر عندهم الاغتصاب والاضطهاد والعنف الأسري ومعاشرة المحارم، وسُنَّت في بعض الدول قوانين تبيح الشذوذ الجنسي من لواط وسحاق، وتعترف بالزواج المثلي ببين رجلين أو بين امرأتين. وإضافة إلى ذلك كله فالزوجة أصبحت كالزوج مسؤولة عن الأسرة - هذا إن وجدت أسرة - خارج البيت كتأمين االنفقات وتوصيل الأولاد والزوج إلى المدارس وأماكن العمل، إلى جانب قيامها بأعمال البيت. فهل هذه هي الحقوق والتشريعات التي ينادون بها، ويريدون تسويقها للمسلمين؟!

ومع تفشي الانحلال الخلقي وطغيان العلاقات الجنسية المشبوهة على العلاقة الصحيحة بين الرجل والمرأة في الغرب، فقد ظهرت بوادر أحاسيس النهضة على أساس الإسلام في البلاد الإسلامية، وأصبحت المناداة بالعودة إلى الدين الإسلامي والالتزام بأحكامه ظاهرة من الظواهر العامة في العالم الإسلامي ما أغاظ الكفار، وزاد في حنقهم على الإسلام والمسلمين، فعادوا إلى سيرتهم الأولى بالكيد إلى الإسلام بادعاء تحرير المرأة المسلمة من قيودها، ومساواتها بالرجل سواء بسواء. وأخذت الولايات المتحدة الأمريكية زعيمتهم تدعم هذه الأفكار بكل ما أوتيت من قوة ونفوذ وما تملك من وسائل ترغيب وترهيب باسم رعاية الحرية والديمقراطية، وقد اعتمدت على جهتين تقاسمتا العمل في الاهتمام بشؤون المرأة المسلمة وهاتان الجهتان هما:

الأمم المتحدة ومنظماتها المتعددة.

الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، حاملة لواء العولمة والديمقراطية ❑

[يتبع]

الإسلام والغرب وجهاً لوجه

حسن الحسن

لم يعد بإمكان أحد قط إغفال تلك الحملة المعادية للإسلام. والتي طالما تم طرحها تحت عناوين شتى، كالحرب «الوقائية»، والحرب على «الإرهاب»، وعولمة ثقافة «حقوق الإنسان»، ونشر «الديمقراطية»، وما شاكل من مزاعم ليس مقام بحث زيفها وتداعيها ونسبيتها هنا.

لقد اعتاد الغرب، بغية إحداث شرخ بين المسلمين، تناول الإسلام في خطابه الرسمي مُقَسِّماً المسلمين إلى «معتدلين» و«متطرفين»، محاولاً بذلك تشتيتهم، طامحاً إلى تفريغ إسلام مرن ومتطور ومائع؛ ليفقد الإسلام خصائله ومميزاته، تلك التي تجعل منه نداً لحضارة الغرب الزائفة، وليس ذائباً فيها. إلا أننا شهدناها في الآونة الأخيرة هجماتٍ فجَّةً ومباشرةً ومتعاقبةً في آن معاً على قضايا تمس أحكاماً مجمعاً عليها، كتحكيم الشريعة والخلافة وجهاد المحتلين الغزاة، حيث باتت الدعوة لما سبق تهمة، كما أصبح التعرض لـ(إسرائيل) ولو بمجرد الكلام، أمراً مثيراً لسخط الغرب ومؤججاً لغضبه بشكل غير مسبوق. ولعل شن حملة على الإسلام بشكل مباشر ومن غير مواربة، يشير إلى أن حملة علمنة الإسلام لم تحقق المرجو منها؛ ولذلك فقد آثر الغرب أخيراً مواجهة الإسلام كما هو، واصفاً جوهر ما يقوم عليه بأيديولجية شر لابد من وأدها في مهدها.

وهكذا صرنا نرى أبعاد الصراع واضحة المعالم، وجهاً لوجه بين عامة أمة الإسلام من جهة، والغرب مجسداً بالقوى الرأسمالية الكبرى من جهة أخرى، وبات واضحاً للعيان أن «سيمفونية» القضاء على الإرهاب ونشر الديمقراطية وغيرها من الترهات، ما هي إلى مجرد حجج لاستئصال الإسلام وتركيع المسلمين.

وبما أن أية أمة لا يمكن أن تدخل حلبة الصراع الدولي بشكل فاعلٍ من غير أن ينتظم عقدها في كيان سياسي تمثله دولة بكل مقوماتها وإمكانياتها، وأن مشروع دولة الخلافة هو ما يحقق ذلك وحده دون سواه للمسلمين، الأمر الذي يفسر صب الغرب جام غضبه على فكرة الخلافة، بغية الانتقاص منها وإضعاف الداعين إليها، محاولاً تشويهها وتقديمها في ثوب يقطر دماً ويقدح شراً.

وفي هذا السياق تأتي تصريحات وزير الداخلية البريطاني تشارلز كلارك الأخيرة موضحاً: «إن مسألة عودة الخلافة وتطبيق الشريعة الإسلامية أمران مرفوضان لا يقبلان النقاش أو المساومة» معتبراً «أن هذه القيم أساسية وغير قابلة للتفاوض...» وقد سبقه إلى ذلك رئيس وزراء بريطانيا توني بلير حيث أعلن تبنيه لما سلف مضيفاً إلى موضوع القضاء على دولة (إسرائيل)، معتبراً «أن تحكيم الشريعة في العالم العربي، وإقامة خلافة واحدة في بلاد المسلمين، وإزالة نفوذ الغرب منها، هو أمر غير مسموح به ولا يمكن احتماله مطلقاً».

وعلى النمط البريطاني، قام رموز الإدارة الأميركية بالتحذير بشدة من الخلافة، فبعد تتالي

وتكرار تحذيرات الجنرال مايرز ورامسفيلد من الخلافة، فها هو بوش يحذر من قيام الدولة الإسلامية التي ستمتد من إندونيسيا إلى الأندلس، منبهاً إلى: «إن استراتيجية أوسع لناشطين إسلاميين تهدف إلى إنهاء التأثير الأميركي في الشرق الأوسط، واستغلال الفراغ الناجم عن ذلك، في الإطاحة بأنظمة الحكم في المنطقة» وأضاف: «إن المخطط الأكبر هو: إقامة إمبراطورية إسلامية متطرفة من إسبانيا وحتى إندونيسيا». ويتطابق هذا أيضاً مع ما ذهب إليه بوتين عن التهديدات التي تؤرقه في آسيا الوسطى، منبهاً إلى «إنه يوجد من يعمل على إسقاط الأنظمة العلمانية بغية إقامة دولة إسلامية في آسيا الوسطى».

والخشية من دولة الخلافة والتهجم عليها وعلى تحكيم الشريعة بهذا الشكل غير المسبوق، تحمل عدة دلالات، أسوق أبرزها على النحو التالي:

١- لا يوجد الآن نموذج ميداني يمثل المسلمين ويجسد هويتهم كأمة. وهذه حقيقة لا مراء فيها، حيث إن الأنظمة المقيتة المتحكمة بمصائر الأمة الإسلامية فاقدة الشرعية والشعبية، مسلطة عليها بغطاء جليٍّ من قبل الغرب، مشكلة حائلاً واضحاً دون نهضة الأمة ووحدتها.

٢- إن الأمة الإسلامية قد أسقطت البدائل التي حاول الغرب تسويقها إليها، وأنها لم تعد ترى سوى الإسلام ملاذاً لها، كما أنها باتت جاهزة أكثر من أي وقت مضى لمعانقة التغيير الذي يوحدها، ويحكم شرع الله فيها، ويضع حداً لتمادي أعدائها عليها.

٣- إن إصرار زعمار الدول الكبرى على الانتقاص من الشريعة والنيل من فكرة الخلافة بل وعملهم على تشديد قوانينهم لمحاربة أي شكل من الإسلام السياسي الذي ينتمي إلى فكرة الخلافة، ليدلُّ على حالة الأرق من احتمال نجاح دعاة الخلافة في تحقيق مشروعهم، ذلك الذي يشكل نموذجاً فريداً على الصعيد الدولي لمباينته كل ما هو موجود من أنظمة، مما سيغير قواعد اللعبة السياسية القائمة بشكل أساسي، ويشكل معها منعطفاً جديداً على صعيد النظام العالمي.

وخلاصة القول هو: إن نظرة متفحصة في الواقع الدولي، يجعل من الأمة الإسلامية وحدها هي من يستطيع إيجاد حد للسفه الذي ترعاه الدول الكبرى من خلال المؤسسات الدولية. وإن دولة الخلافة وحدها هي من سيجسد ذلك المشروع. ويرجع ذلك لطرح الإسلام رؤية إنسانية بحق، كبديلٍ عن الرأسمالية الفاسدة السائدة. أضف إلى ذلك أهلية الأمة الإسلامية للعب ذلك الدور حيث إنها تمتلك جغرافية استراتيجية هامة وحساسة، وثروات ومقدرات هائلة.

ولعل ما ذهبت إليه تصريحات كبار ساسة الغرب، وما أصدرته مراكز البحوث والدراسات العالمية من احتمال قيام دولة الخلافة، لينبئ بأن الجمر مشتعل تحت الرماد، وإن خطوات الغرب التي يتخذها الآن ضد فكرة الخلافة وأنصارها، ما هي سوى محاولة أخيرة يائسة منه لوأد تلك الفكرة قبل أن تنجب واقعاً يصعب التعامل معه. على كل فإن كثرة الحديث عن الخلافة من كبار ساسة الدول مرفقة بتقارير مراكز الدراسات الاستراتيجية في الغرب، لهي إحدى العلامات الهامة التي تنبئ بقرب بزوغ فجر دولة الخلافة من جديد، فكما قال الشاعر:

أرى خلل الرماد وميض نار
ويأبى أن يكون لهم ضرام
فإن النار بالعودين تذكى
وإن الحرب مبدؤها كلام□

إفراج الوزير

وصلت إلى المجلة هذه الرائعة من فارس من فرسان الإسلام الصابرين في سجون الظالمين فرج الله كربه وكرب إخوانه.

مَنْ لي بإفراجِ الوَزيرْ؟! ... فَأَنَا لِرَحْمَتِهِ فقيرْ
فَلْتُخْبِرُوهُ بِأَنَّني ... بجميلِ نَظرتِهِ جَديرْ
فَلَقَدْ سُجِنْتُ وَلَمْ أَكُنْ ... يَوماً بِدَاعِيَةٍ خَطيرْ
لا أَنْتَمِي لِجَمَاعَةٍ ... أَوْ أَحمِلُ الفِكْرَ المُثِيرْ
وَلَرُبَّمَا أَخْطَأْتُ حِيـ ..... ـنَ مَنَحْتُ أُذْنِي لِلْكَثِيرْ
فَعَقَدتُ يوماً حَلْقَةً ... وَحَضَرْتُ درساً للأميرْ
لكِنَّنِي نِلْتُ العِقَا ..... بَ وبُؤتُ بالذَّنْبِ الكبِيرْ
وَرَجعْتُ عَنْ فِكْرِي القَدِ ..... يمِ إلى جَديدٍ مُسْتَنِيرْ
وَلَسَوْفَ أَكْتُبُ تَوْبَتِي ... ومِدادُها دَمْعِي الغَزيرْ
وأُذِيعُ الاسْتِنْكَارَ جَهْـ ..... ـراً سوفَ أُمعِنُ في النَّكِيرْ
وَلَدَى الصَّحَافَةِ سَوْفَ أَفْـ ..... ـضَحُ كلَّ تَنظيمٍ خَطيرْ

❁ ❁ ❁

مَنْ لي بإفراجِ الوَزِيرْ؟! ... فَإِنَّني الغَضَبُ المَريرْ
فَإِذَا خَرَجْتُ وَجَاءَنِي ... أيُّ اتصالٍ من أميرْ
فَلَسَوْفَ أُبْلِغُ عَنْهُمَا ... أَعْنِي المُراسِلَ والسَّفيرْ
وَإِذَا سُئِلْتُ عَنِ الخِلا ..... فَةِ قُلْتُ: لَسْتُ لَهَا نَصيرْ
أَوْ قِيلَ لِي: أَفَلاَ تَقُو ..... مُ لِنُصْرَةِ الحَقِّ الأسيرْ؟
فَلَسَوْفَ أَبْقَى صَامِتاً ... وإذا استُشِرْتُ فلَنْ أُشيرْ
في كلِّ أُسبوعٍ أُتا ..... بِعُ ضابِطَ الأمنِ الشَّهيرْ
وغَمَامَتِي فوقَ العُيو ..... نِ وَرُبَّمَا فوقَ الضميرْ

❁ ❁ ❁

مَنْ لي بإفراجِ الوزيرْ؟! ... فَأَنَا بأَشْواقِي أَطيرْ
لِأَعُودَ لِلبَيْتِ الحَبيـ ..... ـبِ أُعانِقُ الفَرْشَ الوَثِيرْ
فَلَقَدْ سَئِمْتُ من الضَنَا ... ولقدْ سئمتُ من الحَصيرْ
سَأُوَدِّعُ الأرضَ الرَّطِيـ ..... ـبَةَ إنَّهُ عَهدُ السَّريرْ
وَتَحُفُّنِي زَوجٌ تَبَخْـ ..... ـتَرُ في الدِّمَقْسِ وفي الحَريرْ

وَنَسُـــــدُّ أَبْوَابـــــاً عَلَيْـــــ ..... ـــــنا لا نُـــــزارُ ولا نَـــــزورْ
مَـــا أَجْمَـــلَ الـــدُّنيا بِـــلا هـــمٍّ ولا قلـــقٍ مُـــثيرْ

❁ ❁ ❁

لكـــنَّني مـــاذا جَنَيْـــ ..... ـــتُ بـــذَلكَ الفَـــرَجِ الحَقـــيرْ؟!
أَتُـــرَى الـــوزيرُ بِنَـــافِعِي في موقـــفِ الهـــولِ العَســـيرْ؟!
أَتُـــراهُ يُنْقِـــذُنِي إذا حُـــبِسَ الشَّـــهيقُ أَو الـــزَّفيرْ؟!
أَمْ هـــلْ تُـــراهُ يَطُبُّنِـــي ويُطَـــوِّلُ العُمْـــرَ القصـــيرْ؟!
أمْ هـــلْ يُفَـــرِّجُ كُرْبَتِـــي في فِتنـــةِ النَّـــزْعِ الأخـــيرْ؟!
أمْ في العَـــذابِ يَحُـــوطُنِي ويَصُـــدُّ عـــن وجْهِـــي السَّـــعيرْ؟!
لـــوْ بِعـــتُ دِيـــنِي هـــلْ سَيَنْـــ ..... ـــفَعُـــنِي وزيـــرٌ أو غفـــيرْ؟!
كـــلاّ، وَرَبِّ البَيْـــتِ، لَيـــ ..... ـــسَ لهـــمْ نفـــيرٌ أو نقـــيرْ
يـــا بِـــئْسَ إفـــراجٌ مهيـــ ..... ـــنٌ لـــيسَ ترضـــاهُ الحَمـــيرْ
لـــنْ أَبْتَغِـــي فَـــرَجَ الوزيـــ ..... ـــرِ وَحَسْـــبِيَ المَلِـــكُ القَـــديرْ
قُومُـــوا بِنَـــا نَـــدْعُوهُ في جُـــنْحِ الظَّـــلامِ المُســـتنيرْ
وبِلَـــذَّةِ الإيمـــانِ ســـو ..... فَ نَبِيـــتُ في ليـــلٍ مريـــرْ
فَلَـــئِنْ بَقِينَـــا فالبَقَـــا ..... ءُ لِحِكْمَـــةِ اللهِ الخَـــبيرْ
وَلَـــئِنْ خَرَجْنَـــا فـــالخُرو ..... جُ بِـــرَغْمِ أَنْفِـــكَ يـــا وزيـــرْ
لِنَعـــودَ نَحمِـــلُ دَعـــوةً للهِ مولانَـــا النَّصـــيرْ
ولِنَجْمَـــعَ الشَّـــملَ الشَّتِيـــ ..... ـــتَ ونَنْشُـــرُ الفِكْـــرَ المُـــنيرْ
وَنُوحِّـــدُ الصَّـــفَّ الـــذي قـــد هَـــدَّهُ الخُلْـــفُ المريـــرْ
وَنُطِـــيحُ بـــالحُكمِ الظَّلُـــو ..... مِ وبالرَّئيـــسِ وبالـــوزيرْ
شَـــوْقِي لِفُرْسَـــانِ الخِـــلا ..... فَـــةِ قَبْـــلَ لُقْيَـــاهُمْ كـــبيرْ
الصَّـــامِدُونَ الصَّـــادِقُو ..... نَ المُنْعِمُـــونَ علـــى الفقـــيرْ
جُنـــدٌ قَلائِـــلُ بيْنَمَـــا بـــالحقِّ هـــم جَمْـــعٌ غفـــيرْ
لَمْ يَعْتَلُـــوا مَـــتْنَ التَّعَصُّـــ ..... ـــبِ في قليـــلٍ أو كـــثيرْ
يَتَسَـــابَقُونَ إلى حِيَـــا ..... ضِ المـــوتِ لـــيسَ لهـــمْ نظـــيرْ
يَسْـــعَوْنَ في شَـــوقٍ لَـــهُ سَـــعْيَ المُبَشِّـــرِ للبَشِـــيرْ
يَئِسُـــوا مـــنَ الـــدُّنيَا كَمَـــا يَـــئِسَ الـــدُّعاةُ مـــن القُبـــورْ
مُتَواضِـــعُون مُفَكِّـــرُو ..... نَ وعـــازمونَ علـــى المَســـيرْ
لـوْ كُـــنْتَ مَعْـهُمُ في السُّـــجُـو ..... نِ فَحَسْـــبُكَ الفـــخرُ الكـبيرْ!!! ❑

كلمة أخيرة

إنهم يخافون من القلم والكاميرا

قامت أميركا باحتلال العراق وساعدتها بريطانيا في ذلك، ولوحظ خوف أميركا الشديد من وسائل الإعلام، وكان أشد ما يخيفها القلم والكاميرا، وقيل أن عدد الصحفيين الذين قتلتهم قوات الاحتلال بلغ بضعاً وستين صحفياً، ولوحظ أن العديد منهم قُتل عمداً وقصف عمداً، وهناك من اعتقل ثم أُفرج عنه بعد مصادرة ما بحوزته من صور ووثائق.

يُضاف إلى ذلك أن الفلوجة دُمّرت قبل عام بعيداً عن أعين الصحفيين والكاميرات، ودمرت مدنٌ أخرى أيضاً في الظلام وفي غيبة الإعلام. كما أن صور التعذيب في سجن أبو غريب وفي سجن الجادرية تسربت دون رغبة الجلاد الأميركي وزبانيته المجرمين.

أما (إسرائيل) –ربيبة أميركا– فقد دمّرت مخيم جنين وارتكبت مجزرة في المخيم الضحية بعيداً عن الكاميرات، بينما بالمقابل حشدت ثلاثة آلاف صحفياً لتغطية انسحاب بضع مئات من المستوطنين من غزة لإخراج مسرحية إخلاء المستوطنات هناك.

أما بعض الحكام العرب فإنهم يسجنون الصحفيين، أو يعدمونهم، أو يخفونهم، أو يوجد بعضهم ميتاً بمحض الصدفة على قارعة الطريق. وفي حالة أخرى يفجرونه بطريقة حديثة جداً تتناسب ولغة العصر: إما بكاتم الصوت، أو بقنبلة موقوتة، أو بسيارة مفخخة، أو ما شابه ذلك.

حينما حصلت جريمة قتل الطفل (محمد الدرة) في غزة تم نقل الصورة بالمصادفة إلى أوروبا، عبر أحد المراسلين، فحصلت الضجة التي أزعجت (إسرائيل) مؤقتاً، ثم نسي الناس كل المجازر التي حصلت بعد هذه الجريمة؛ لأن الكاميرات لم تكن هناك. وكأن الغرب وبعض العرب لا يصدقك إلا من خلال الصورة، فهل أصبحت الصورة هي الدليل الوحيد على حصول الجريمة؟

ما أسخف هذه المعادلة التي يجرنا الغرب إلى الركون إليها، وما أصغر هذه الدول التي تدعي أنها كبيرة حينما ترتكب جرائمها كما يفعل اللصوص تماماً، أي في ظلمة الليل، والناس نيام ❑

الصراع الدولي

- الصراع الدولي له عدة أوجه، ويتجسد في عدة أماكن، لكنه لا يُرى بوضوح سوى لفئة من الساسة المتعمقين والمتابعين. وهو يختلف عن «الحرب الباردة» التي كانت تطلق على الصراع الثنائي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، أو بين حلف وراسو والحلف الأطلسي.
- الصراع الذي يدور الآن في العالم الإسلامي وفي مناطق عديدة منه هو صراع طابعه دولي، ومن هنا يأخذ أشكالاً حادة في أماكن، وأشكالاً أقل حدة في أماكن أخرى، وما يجري في العراق ولبنان يشكل نموذجاً لهذا الصراع الذي يبدو وحيد القطب في النظرة السطحية للأحداث، بينما هو متعدد الأوجه في واقعه، حيث تتصارع القوى الدولية الشريكة في تجمعات يظنها البعض متآلفة وهي غير ذلك.
- إن أميركا وفرنسا وبريطانيا وروسيا يضمها مجلس الأمن، وهي دول دائمة العضوية، والدول الثلاث الأولى أعضاء في الحلف الأطلسي، لكن هذه الدول تتصارع دولياً على النفوذ في مناطق شتى من العالم، وفي المناطق الساخنة بالذات يتصف الصراع بالحدة، وذلك مثل ما يجري في العراق ولبنان، وجنوب شرق آسيا وأفريقيا.
- يتجاهل الإعلام الدولي والإعلام المحلي التطرق لهذا الصراع ويعتّم عليه؛ لكي لا تُفضح هذه المنازعات ويفضح اللاعبون؛ لأن اللعب يتم من خلال حرائق، وحروب أهلية، ومجازر، ومقابر جماعية، وسجون، وتعذيب بالجملة والمفرق، وسجون طائرة في أوروبا. فهذه الدول المجرمة لا تعترف بأنها هي التي أشعلت الحروب لكي لا تُتَّهم بالإرهاب والإجرام.
- وإذا عدنا إلى حرب البوسنة، وألبانيا، ورواندة، ودارفور، والعراق، ولبنان، وأفغانستان، والشيشان، فإننا نجد أن جميع الدماء التي سقطت، والأرواح التي أُزهقت، تتحمل مسؤوليتها تلك الدول المجرمة التي لا ترتوي من دماء المسلمين، وستستمر وتنتقل حتى تتولى الأمة زمام أمورها بيدها، ثم تقطع اليد التي تمتد إليها بسوء □